

روايات مصرية الجيب

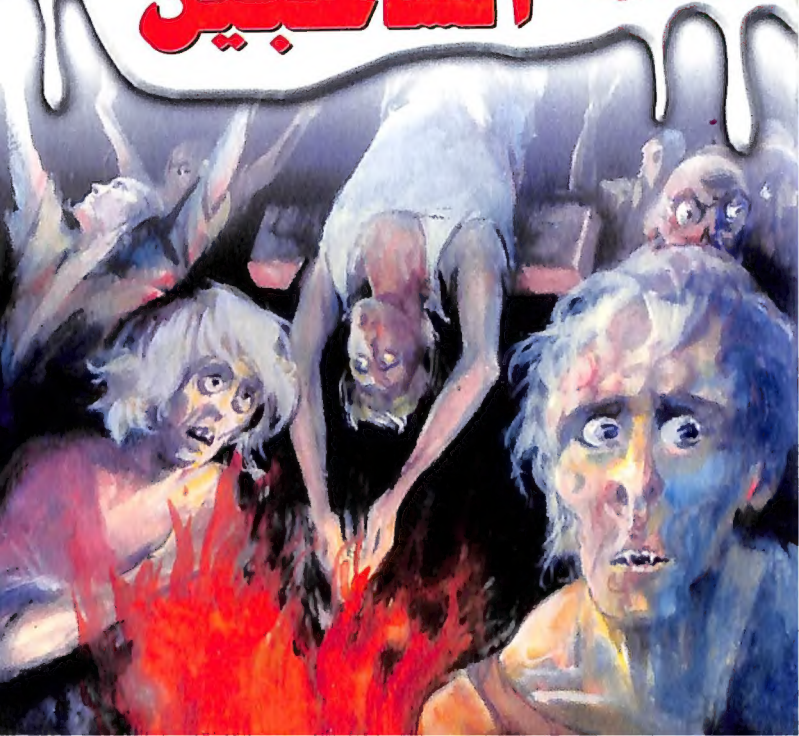


34

أسطورة

الشاحبين

ما وراء الطبيعة



ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

روايات همزية الجيب

أسطورة الشاحين

ثمة أشياء غريبة فى

(هاماجيو) .. أشياء من التى

لا تقال إلا همساً جوار المدفأة ليلاً ..

حينما تتأكد أن الأطفال ناموا ..

وتستوثق من أن بابك مؤسد .. وأن الكلب

لا ينبج فى الجرن ؛ لأنه يشعر بشئ غريب ..

إنها قصة عن (هو) - الذى يمشى فى

الظلال - وإخوة الدم وأعياد

الخصوبة .. وكل الخزعات

التى جاءت كي تبقى ..



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم :

أسطورة دماء دراكيولا

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

ت : ٥٩٠٤٥٥ - ٥٩٠٤٥٦ - ٥٩٠٤٥٧

فاكس : ٥٩٠٤٥٨

التمن فى مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

34

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

أسطورة الشاحين

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

إشراف

الأستاذ/ حمدى مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناسـر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية .

طبعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ١٠، ٨ شارع ٧ المنطقة الصناعية
بهاجها صيدية - مائة ألف البيع ١٠ ، ١٦ شارع كامل صلقى القجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية الكبرى روكسى
مصر الجديدة - القاهرة فنت: ٢٨٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع.

34

ماورا، الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط القموض والرعب والإثارة

أسطورة الشاحبين

بقلم :

د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع
٢٥٨١١٤٧ - ٢٨٣٥٥٥١ - ٥٩٠٨٤٥٥ : ٥

فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

مقدمة

فى ضوء المشعل استطعت أن أرى الحقيقة ..
لقد رأيت كثيراً من الجثث الممددة فى توابعات من
الخشب الثمين ، والمبطنة بالحريير .. ورأيت الدم
على شفاه بعض تلك الجثث .. ورأيت البشرة الشاحبة
والنابيين البارزين ..

رأيت ما يكفى من الجثث فى حياتى كى أعرف
مصااص الدماء حين أراه .. ولا أستطيع أن أفخر بأننى
غرسيت أوتاداً كثيرة فى صدور هؤلاء ، لكنى بالتأكد
أستطيع أن أفعل هذا بنجاح ..
لشدّ ما تبدّل د. (وينسلو) !

إنه الآن (غير ميت) .. وهى كلمة لا تعنى أبداً
أنه حى .. لكى تفهم الفارق الباهت بين (حى)
(غير ميت) يجب أن تكون مصاص دماء ..
وقال لى (مايكل) بصوت مبجوح :

- « هل تغرس الود ؟ »
نظرت له وابتلعت ريقى ..

كلما حسبت أنني أعرف كل شيء عن مصاصي
الدماء ؛ كلما أدركت مبلغ سذاجتى ..

لقد كان تعاملى مع تلك المخلوقات الطيفية سلسلة
لا تنتهى من الأغلاط الفادحة ، ولا أقول الفاحشة ..

حماقات لا أول لها ولا آخر ..

وتذكرت قصة الشاحبين ..

وارتجف الوجد فى يدي ..

أحقاً لم أحكها لكم بعد ؟

غريب !

إن هلموا أحكها لكم بسرعة وقبل أن ينهض
مصاص الدماء من غفوته .. وقبل أن ينادى المنادون

يعلمون ملكوت الظلام ..

كانت القصة كما يلى ..



تمهيد

د. رفعت إسماعيل

ساد تعبير (مصاصى دماء هامر) بين مشاهدى أفلام الرعب ، بسبب أفلام شركة (هامر) البريطانية التى قدمت لنا أهم أفلامهم .. وفيها يبدو مصاصو الدماء فاغرى الأفواه عن أنيابهم ، يرتدون عباءات سوداء مبطنة بالأحمر ، ولهم لون شاحب مخيف .. وكلهم يموتون عند رؤية ضوء الشمس والصلبان وعند شَم رائحة الثوم ..

كل هذا جميل .. لكنه غير صحيح على الإطلاق !



(رومانيا) من جديد !

تسألون لماذا (رومانيا) من جديد ؟

سؤالي غريب وإجابة أغرب حتمًا .. أنا لم أر
(رومانيا) منذ عشر سنوات تقريبًا .. ولى فيها صديق
حميم هو (جوستاف نيكولسكو) الصحفي الروماني
الشاب شديد الذكاء والمرح .. كما أن لى فيها قصة
رهيبية مع المذعوب .. إنتى أحبها لأنها أول قصة
حكيتها لكم ..

إن (رومانيا) بلد غريب تختلط فيه التأثيرات
الأوروبية والتركية واليونانية ، وبه أساطير يشيب
لهولها الولدان كما يقولون ..

إن ما نسميه نحن (رومانيا) لهو خليط من أقاليم
عدة مثل : (داتشيا) - أو (داخيا) - و (والأشيا)
و (الكربات) و (مولداڤيا) .. وبالطبع (ترانسلفانيا)
الرهيبية التى صارت مزارًا سياحيًا للسياح الراغبين
فى رؤية قصر (فلاد المخوزق) كما يسمونه (★) ،

(★) ترجمة لاسم : Vlad the Empaler

وذلك لأنه كان يهوى التهام طعامه وهو ينعم برؤية أعدائه الأتراك فوق الخوازيق .. وقد أطلق عليه الأهالى اسم (دراكيولا) .. أى (الشيطانى) .. ويقال إن (دراكيولا) مشتقة من لفظة (دراجول) أى (التنين) لأن هذا هو شعاره الإقطاعى .. تقول الأساطير الرومانية إن (جانب النجوم) هو عالم مواز لنا ، يمرح فيه مصاصو الدماء والمذعوبون .. لكن هذا العالم - كأى شىء فى الواقع - مثقوب .. وهذا الثقب يسمح بمرور مصاص دماء أو مذعوب من آن لآخر ؟

وتسألون لماذا (روماتيا) من جديد ؟
لأننى أنا (رفعت إسماعيل) .. ومن المستحيل أن أظل بمنأى عن هذا الموضوع أكثر من عشرة أعوام ..

★ ★ ★

كما يقولون فى القصص : بدأ كل شىء بخطاب وصلنى من (جوستاف نيكولسكو) ..
لم تنقطع المراسلات بيننا لحظة طيلة هذه السنين ، وقد صار (جوستاف) رئيساً لتحرير مجلة نسائية متوسطة الشهرة ، ويبدو أن الرفيق (شاوشيسكو) كان راضياً عنه ..

إن (جوستاف) يجيد التحايل وإخفاء آرائه
السياسية المناهضة للنشوية .. والدليل على ذلك أنه
أنهم لم يعدموذ بعد ..

كان الخطاب مليناً بالموذ والظرف .. وإن لم ينس
سؤاله السمج عما إذا كنت تزوجت بعد .. ألن ينسى
الناس هذا الموضوع أبداً ؟!

سأتجاهل بعض الفقرات الخاصة أو الخاصة جداً ..
أو التى لا أريد أن يعرفها سوى والرومانى .. ثم
أقدم لكم هذه الفقرة

- « (رفعت) .. إن مجلتى عاكفة على تقديم
سلسلة من التحقيقات عن الظواهر الميتافيزيقية ..
ذلك الهراء الذى تهواه أنت ، والذى يروق للنساء كثيراً ..
فالنساء مولعات بالشموع التى تتحرك ، وشبح
الكونتيسة الذى يعبر الردهة فى الواحدة صباحاً ..
وكلما كان الأمر مريعاً كلما كان هذا أفضل .. »

« لدى حشد من الخيوط يمكن البدء بأى منها ..
لكنى لم أرد أن أبداً دون أن تكون معى ها هنا .. »
« إننى أذكر العمل الرائع الذى قمنا به ها هنا منذ
أعوام فى (كرايوفسكا) مع المذعوب إياه .. وأعتقد
أن هذا بعينه هو ما أريد أن تشاركنى فيه .. »

(قمت بحذف باقى الفقرة لأن بها مزاحا سمجاً) ..

« العرض هو البساطة ذاتها : ستصلك تذكرة

طائرة ومعها ترتيب كامل للإقامة لمدة شهر .. »

« عندما تقبل سيأتى دور التفاصيل .. »

« فكرَ جيداً .. إنها سياحة مجانية لا تتاح لكثيرين ..

أما أنا فسوف أربح رأيك الصائب وخبرائك .. ثم إن

الرومان ينغمسون أكثر فى الأحداث إذا لم يكن بطلها

رومانياً .. فألحان عازف المزار فى القرية المجاورة

أعذب من ألحان عازفنا .. »

هذا التعبير الأخير هو طريقة رومانية لقول (الشيخ

البعيد سره باتع) أو (زامر الحى لا يطرب) ..

كان العرض مغرياً ..

إن إجازتى داتية .. وأنا لم أسافر للخارج منذ زمن ..

لم لا ؟ بالتأكيد أنا لا أهوى تربية العناكب فى دارى ..

لكن منظر خيوط العنكبوت ، وطبقة الغبار على الأثاث

لدى عودتى من الخارج ، لتبعثان حنيناً قوياً فى روحي ..

وهكذا ..

بعد أسبوعين كنت جالساً فى الطائرة أنتظر لحظة

الهبوط فى مطار (بوخارست) ..

وأخذت شهيقاً عميقاً ، وقذفت بقطعة من اللادن في
فمي ، كي لا تنفجر أذناي ..
حان وقت الاسترخاء .. أو العمل الشبيه
بالاسترخاء ..

وللمرة التريليون كنت ساذجاً .. ساذجاً ..

★ ★ ★

في المطار تعرفته بصعوبة .. كان قد امتلأ ووضع
العوينات وبدأ أكثر أناقة .. (رجل في منتصف العمر
تلوح عليه آثار النعمة) كما يقولون في الروايات ..
وقد دفع ضريبة النجاح من شعر رأسه المتساقط ..
وحين تعرفته صحت معتذراً وأنا أُلثم خده كعادتنا
وعادتهم :

- « (جوستاف) ! إنك تزداد بهاء .. لم أتعرفك
لأنى حسبتك نهارةً مشمساً ! »
وهو تعبير مسروق من (مارك توين) لكنه أسعده
كثيراً فردّ المجاملة :

- « وأنا لم أتعرفك لأنى حسبتك مصيبة .. »
- « هذا لطيف منك .. »
- « ألم تمت بعد ؟ »

- « كما أن الشيوعيين لم يشنقوك بعد .. إسمها
لمعجزة .. »

ودسَ يديه فى جيبى معطفه الثمين الذى تعلوه ياقة
مبطنة بـ (الاستراخان) - أو هكذا أحسبه - وقال فى
فخر :

- « الأمور على ما يرام .. يبدو أننى أزداد فهمًا
للحياة .. »

وخرجنا من المطار دون إجراءات جمركية تقريباً ..
ومع مزيد من الاحترام ، برغم أن كل مفتشى
الجمارك فى الكون يعرهننى بشكل خاص كأتنى
زعيم (المافيا) الهارب ، أو ملك تجارة (الهيرويين)
فى العالم ..

وفى سيارته الـ (زاباروجيتس) الفاخرة ، أشعل
لنفسه سيجاراً عملاقاً وقال وهو يمسك المقود بيد
واحدة :

- « ستقيم فى فندق (بلويستى) .. وهو فندق
فاخر .. »

- « هذا يسرنى .. فقد سئمت الأكواخ المملأى
بالبراغيث .. »

ثم إنه راح يسألنى عن آخر أخبارى ..
قلت له إن الأمور على ما يرام .. فلم أك راغباً فى
أن أسكب فوق رأسه كل هذا الخليط من أوراق
(التاروت) ، ومكهنة التبت ، والدمى المسحورة ،
والعوالم الموازية .. إلى آخر هذا الهراء .. »
ثم إننى سألته :

- « هلا تكلمنا فى الأعمال ؟ »
- « الأعمال ؟ آه ! دائماً الأعمال .. انتظر حتى
نصل إلى الفندق وهناك أعرض عليك ما لدى من
خواطر .. »



جلس على الأريكة الوثيرة فى حجرتى ، ومد يده
إلى جيبه ليخرج بعض الأوراق .. وكما توقعت ، نزع
عويناته ليبعد الأوراق بعيداً إلى أبعد نقطة من مجال
بصره .. إنه قد تقدم فى العمر وبدأ يصاب بطول
النظر .. منتصف العمر .. سن النجاح الاجتماعى
وطول النظر وتضخم البروستاتا والنوبات القلبية .. »
قال لى وهو يتأمل الأوراق :

- « هى ذى بعض الخواطر كتبتها لك .. لن أثقل
عليك ، فأنت مرهق بعد رحلة الطائرة .. لذا سأتركها لك .. »

على أن تتصل بي حين تشعر بأنك تميل إلى موضوع معين .. »

ونهض ليضع قبعته على رأسه معلناً انتهاء اللقاء ..
ما إن اتصرف حتى طوحت بفردتى حذائى ،
واتزعت تلك المشنقة التى يسمونها ربطة العنق ،
وخلعت سترتى ثم ارتميت فى الفراش كجثة غارقة ..
وكان الفضول أقوى منى ، فمددت يدي إلى
الأوراق أتصفحها بسرعة .. وكانت - حقاً - حفنة من
الخواطر :

- ١ - المقبرة المفتوحة دائماً فى مدفن (كلوج) ..
- ٢ - فى (مامايا) على البحر الأسود .. يسمعون
الغناء ليلاً .. يبدو أنها حكاية شبيهة بـ (لورالاي)
لدى الألمان .. (عرائس بحر ؟) .
- ٣ - شاب له القدرة على السفر عبر الأزمان (أو
هكذا يزعم) .. يقول إنه كان محارباً من الفرنجة ..
وكان غازياً تركياً .. المشكلة هى أنه يملك أدلة قوية
حقاً ..

- ٤ - عالم يزعم أنه يعرف مكان تابوت العهد
المذكور فى التوراة .. لكنه لن يفصح عنه إلا مقابل

بضعة ملايين من (الاليات) .. لا أحد يعبأ به لكنه
موضوع مثير حقاً ..

٥ - إشاعات عن فرقة من النازيين ما زالت حية
بعد الحرب .. وتجول بين القرى ليلاً .. يقال إنهم دفنوا
فى أثناء غارة للحلفاء وأن ما نراه هو أشباحهم ..
٦ - صيدنى فى (بوكوفينا) يزعم أن القرية كلها
تشير ربيته .. لكنه لا يستطيع إثبات كلامه ..

٧ - معنوه فى (كونستاتا) يتصل بشكل منتظم
بسكان (زحل) .. وهم كالعادة ينوون غزو الأرض ..
كل هذا جميل ، لكن عنده سبيكة من معدن يقسم
الجيولوجيون بقبور أمهاتهم إنه غير أرضى ..
كانت كل نقطة مكتوبة فى ورقة بعينها بخط جميل ..
وقد أثار كل هذا شغفى .. لكن سنى لا تسمح لى
بالبحث عن الأفكار المفزعة أو التى توحى بمتاعب
قادمة لا ريب فيها ..

مثلاً بالنسبة للقبر المفتوح .. أنا لا أحب القبور
المفتوحة كثيراً كما تعلمون .. أما عن (لورالاي)
فأعتقد أنها كلام فارغ كالعادة ..

المسافر عبر الأزمان يذكرنى بـ (هن - تشو - كان) ..

واعتقد أن كاهنا أخيراً واحداً يكفى المرء طيلة حياته ..
موضوع (تابوت العهد) محبب لدى اليهود ،
وأوشك أن أشم رائحة عبرانية واضحة فى الموضوع ..
رائحة تجعلنى أتراجع ..

النازيون مرعبون بما يكفى وهم أحياء .. فكيف
بأشباحهم ؟

أما معتوه (كونستاتا) فمن المؤكد أنه معتوه ..
إذن يبقى أمامنا أخونا الصيدلى الروماتى المرتاب ..
طبعاً لن يسفر الأمر إلا عن حالة (بارانويا)
متقدمة ، من طراز (إنهم يكرهوننى) .. وهذا
يناسبنى ..

وأخيراً غلبنى النعاس فنمت حيث أنا ، والأوراق
فى يدى .. وحين صحت كان ضوء النهار يفعم
الحجرة ..

طلبت رقم الهاتف الذى أعطانيه (جوستاف) ..
فسمعت صوت سكرتيرة تسأل بالرومانية عن شىء ما ..
غالباً تسأل من أنا ؟

وأخيراً سمعت صوت (جوستاف) المرح يسألنى :
- « هيه ؟ علام استقررت ؟ »

قلت وأنا أتائب :

- « هااااه .. على الصيدلى المرتاب .. »

- « غريب ! حسبك متحمساً لفرقة النازيين

الجوالة .. »

- « لم تعد صحتى تتحمل الأشباح النازية

يا (جوستاف) .. »

ضحك طويلاً ضحكته المجلجلة الرنانة .. ثم قال :

- « ليكن .. أعد حاجياتك لأننا راحلان إلى

(بوكوفينا) .. »

- « هل ستصحبنى ؟ ظننت مشغولياتك .. »

- « إن إجازتى تبدأ بعد يومين .. وأعتقد أن

(بوكوفينا) مكان مناسب لقضاء وقت طيب .. ومنها

إلى قرية (هالماجيو) .. »

- « والتفاصيل ؟ »

- « ستعرف كل شىء فى الطريق .. كل شىء .. » .



حكاية الصيدلي المرتاب

يحكيها هو بنفسه

قال الصيدلى (يوليان بودسكو) :
بالتأكيد توجد أمور غريبة فى (هالماجيو) ..
توجد أشياء معينة من التى لا تقال إلا همساً جوار
المدفأة ليلاً ، حينما تتأكد من أن الأطفال قد ناموا ،
وحينما تستوثق من أن أبوابك موصدة ، وأن الكلب
لا ينبج فى الجرن لأنه يشعر بشيء غريب ..
أمس صارحت القس الأب (كونستانتين)
بهواجسى ، فهز رأسه الأشيب عدة مرات ، ولم
ينصحنى سوى بإغلاق بابى ليلاً .. والصلاة ..
وهأنذا أوصدت بابى .. وأحضرت الكتاب المقدس
ورحت أقرأ منه ، داعياً الرب أن يأتى الصباح سريعاً ..



ربما بدأ كل شيء فى (مايو) الماضى ..
ربما بدأ قبل هذا لكنى لست واثقاً من شيء .
إن (الكسندر) صبى ذكى لكنه شيطان صغير ،
من النوع الذى لا يكف عن جذب ذيول القطط وتهشيم
زجاج الجيران ..

إنه أشقر الشعر له وجه ملوث بالحنوى والطين ..
وله سنان ناقصتان تجعلانه يبدو كشيطان زنيم ..
لكن انقرية كلها كانت تحب (الكسندر) .. حتى
وهم يشكون لأبيه .. (مازورسكو) تهشيمه لزجاج
النافذة ، أو قذفه أبناءهم بالوحل ، أو سرقة تفاحة ،
أو ثقب إطار الدراجة التى تركها أحدهم أمام بابه ..
حتى وهم يشكون لأبيه كانوا يحبونه ..

وفى صباح (مايو) المذكور قابلته وهو عائد من
القرية .. جاء متجرى ليطلب بعض حلوى النعناع ..
- « كل هذه الحلوى ستفسد أسنانك يا (ألكسندر) ..
ولسوف تغدو بلا أسنان كالعلقة .. »

قلتها له وأنا أفتح المرطبان وأعد أقراص النعناع ،
ثم أضعها له فى قرطاس ورقى كبير ..
قال لى وهو يمتص قرصه الأول :

- « النعناع لا يتلف الأسنان .. هل لديك ماء بارد ؟ »
فالسباح كما قلت لك صباح من شهر (مايو) ..
حيث القيقظ يجثم على الأنفاس ، والطبيعة كلها تبدو
ككلب لاهث يرقد فى الظل مخرجاً لسانه فى استرحام ..
أحضرت له كوباً من الماء من الدورق الذى يسبح



قلت لها له وأنا افتح المرطبان وأعد أقراص النعناع ،
ثم أضعها له فى قرطاس ورقى كبير ..

فيه مكعبان من الثلج - ما أحلى الماء البارد بعد
حلوى النعناع ! سمعته يشهق من النشوة الحارقة
التي غمرت حلقه .. وقال فى صوت مبجوح :
- « هآآآآآآه ! ما أجمله ! »

ووضع الكوب على (الكاونتر) أمامى ..
وتوقعت أن ينصرف .. لكنه بدا حائراً قليلاً .. كان
يريد قول شيء لكنه لا يجد الكلمات المناسبة ..
- « هل ثمة ما تريد قوله ؟ »

راح يرمق الأرفف التي تعج بالأدوية .. ثم سألتنى :
- « هل أنت تفهم فى جميع الأمراض ؟ »
هزرت كتفى فى عدم اكتراث :

- « لست طبيباً .. لكنى أعرف أشياء كثيرة .. »
عاد يسألنى وهو يهرب بعينه من نظراتى :
- « ما معنى أن يكون الواحد شاحباً ؟ »
- « أشياء كثيرة .. مثلاً حين تهشم الأكواب الملونة
التي تعتز بها أمك تصير شاحباً .. حين تنزف دمًا
كثيراً تصير شاحباً .. حين تصاب بالأنيميا تصير
شاحباً .. »

- « ما هى (الأنيميا) ؟ »

هنا تذكرت أن أباد جعله يترك المدرسة منذ زمن
كى يعاونه فى متجرة .. لم أجد تعريفاً مناسباً
لـ (الأنيميا) فقلت له :

- « هى فقر الدم .. حين يكون دمك قليلاً .. »
عاد يسألنى :

- « وهل عندك علاج لهذه (الأنيميا) ؟ »

- « هل تريد علاج أحد معين ؟ »

هز رأسه .. ثم عاد يسألنى بإلحاح :

- « هل عندك علاج معين لها ؟ »

مددت يدي إلى الرف فتناولت علبة من أقراص
الحديد ، ووضعتها أمامه .. فتأملها فى شغف .. لكنى
لم أدعه يأخذها .. وقلت :

- « لن تأخذها ما لم تقل لمن ؟ »

ابتلع ريقه للحظة .. ثم قال بعد تردد :

- « لأبى .. »

- « أبوك شاحب الوجه ؟ »

- « نعم .. ويخيفنى كثيراً .. »

هنا تذكرت أننى لم أر الأب (مازورسكو) منذ
أسابيع .. إن متجره مغلق لكنه قد عودنا على ألا
نقلق حين نرى شيئاً كهذا ..

فهو سكير .. ونوبات سكره تتكرر كل أربعة أشهر
أو ثلاثة .. عندها يغرق فى نوبة من البكاء والضحك ،
ثم ينهال على امرأته ضرباً ويركل ابنه مرتين .. ثم
يظل فى الفراش لمدة أسبوع ..
بعدها يعود كل شىء إلى حالته الأصلية ..

- « يخيفك ؟ لا أفهم .. »

بدت الحيرة فى عينيه الخضراوين .. وقال بارتباك
(كأنه لم يرد أن يتكلم بهذه الكثرة) :

- « نعم .. يجلس وحيداً فى غرفة مقفلة .. والكلام
كله من وراء الباب .. لكنى رأيت وجهه .. وكان
شاحباً .. شاحباً كليمونة .. »

- « وأمك .. ألم تسألها ؟ »

- « هى أيضاً لا تفهم .. تقول إن أبى مريض
جداً .. »

- « ودكتور (ميخائيل) .. ألم يزر البيت ؟ »

- « نعم .. فأبى يرفض أن يراه الأطباء .. »

- « وهل يخرج أبوك أحياناً ؟ »

- « لا .. إنه جالس فى هذه الحجرة طيلة الوقت ..

لا يستحم ولا يبدل ثيابه حتى صارت رائحة الحجرة

شنيعة .. أمى تحضر له الطعام .. ووعاء يقضى فيه حاجته .. وتأخذ الوعاء صباح كل يوم لتفرغه وتنظفه .. »

شعرت بالهلع .. من المستحيل أن يخلق الصبي قصة كهذه .. مستحيل .. إن شينا ليس على ما يرام يحدث فى هذا البيت .

ماذا أصاب التاجر الرومانى البسيط ؟

سمعت أن هذه الأشياء تحدث لمرضى الاكتئاب .. كما أنها تحدث لمرضى الجذام الذين لا يحبون أن يراهم الناس يتأكلون .. كما أن مرضى الضمور Consumption كانوا يفعلون شيئاً كهذا فيما مضى .. قبل أن نعرف أن الـ Consumption هو الدرن .. ونعرف أن له علاجاً .. قلت للصغير فى حماس :

- « سأتى معك الآن لنرى أباك .. »

- « لن يحب هذا يا دكتور .. فهو .. »

- « لا مجال للمناقشة .. لحظة حتى أغلق المتجر .. »



كان المشوار مرهقاً فى الحر .. فأنا بدين كخنزير لا أملك أية لياقة بدنية .. وقد راح العرق يغمر جسمى ويبلل حاجبى وينساب على عيني حارقاً لاذعاً ..

إن دار (ألكسندر) جميلة حقًا .. ويقال إن الأب بناها من أرباح القمار في شبابه .. ويبدو - إن كان هذا صوابًا - أن دارًا ساحرة كهذه يمكن الحصول عليها من شيء كرهه كالقمار ..

قرعنا الباب ففتحت لنا (ماريا) الباب ..
وهي - في الخمسين من عمرها - تبدو كأنها في الثمانين .. كنا نتصور أن فرصتها للإيجاب قد فاتت ، لكنها فاجأتنا بصبى أشقر جميل هو (ألكسندر) ..
ما إن رأتنى حتى اتسعت عيناها ذعرًا .. لقد فهمت سر مجيئى .. فقلت لها :

- « هل (فيتور) فى غرفته ؟ »

ابتلعت ريقها ولم تقل شيئًا .. فقط أفسحت لى طريق الدخول وهى ترمق الصبى بنظرة لا تحتاج إلى مترجم .. نظرة من نوع (هكذا - إذن - أيها - القرد - الصغير) ..

ودخلت إلى الدار .

حقًا كان الصبى محقًا .. إن رائحة البيت لا تطاق ..
هى ذى غرفة موصدة .. المرأة تقف جوارى وترمقنى بوجهها المجعد الشبيه بتفاحة ذابلة ، وتقول :

- « هو هنا .. حاول ألا تلخ على رؤيته .. إنه ضيق الخلق .. »

مددت يداً مترددة وقرعت الباب ..
فسمعت من يزمجر بالداخل ..
قلت فى صوت مبحوح :

- « (فيتور) .. هل ثمة مشكلة ؟ »
عاد الصوت يزمجر :

- « من المتكلم ؟ »

- « أنا الصيدلى .. أنا (بودسكو) .. صديقك .. »
قال بصوت كخوار الثور :

- « اتصرف يا (يولييان) .. أنا لن أفتح الباب .. »
- « هل ثمة مشكلة ؟ »
- « قلت لك اتصرف .. »

نظرت للمرأة .. ولم أحتج إلى سؤالها .. إن الباب
موصد من الداخل بالتأكيد ، وهو لا يفتحه إلا وقت
الطعام ..

إنه يمارس كل ما يفعله المسجون الانفرادى ولكن
بكامل إرادته .. قرعت الباب مرتين ثم أدركت أنه لن
يفتحه أبداً ..

نظرت للمرأة فى حيرة وسألتها :

- « لماذا لم تخبرى أحدا ؟ »

- « إتنى أهاب جبروته .. فهو يعد بالتهام حنجرتى

لو فعلت .. »

- « ليس التهام الحنجرة متاحاً لكل من يريد ..

لماذا لم تبلغى الشرطة أو تستعينى بجارين قويين

يهشمان الباب ؟ »

- « لا أريد أن يؤذيه أحد .. »

تهدت فى صبر .. وقلت :

- « الأمر الآن يختلف .. فهو يعرف إتنى أعرف .. »

- « ومعنى ذلك ؟ »

- « معناه أنه سيلتهم حنجرتك إذا كان صادقاً ! »

بدا عليها الرعب كأنما تشعر بالفعل بأسنان زوجها

الغليظة على حنجرتها .. وقالت فى ارتباك :

- « والعمل ؟ »

- « علينا اقتحام الباب ومعرفة ما دهاه .. »

ولم أتركها تفكر كثيراً ..

هرعت خارج الدار ، وطرقت باب الجيران طالباً

عون (تيبور) عامل البناء الذى يملك أكبر نراعين

رأيتهما فى حياتى .. وكان غوريلا مشعرة تحب هذه
الفرص التى تتيح إظهار القوة .. إن عملية تهشيم
باب تناسب تماماً فكرته عن (الاستمتاع بالوقت) ..
وجاء من داره جرياً وهو يبصق فى كفيه استعداداً ..
سألته وأنا ألهث :

- « ألم يثر اختفاء الرجل ريبكم ؟ »
- « بلى .. لكننا نعرف نوبات سكره .. واعتدنا أن
نتجاهلها .. »

ودخل الدار فتفحص الباب بعين خبيرة ..
وللمرة الأخيرة أُنذر التاجر بصوت غليظ :
- « (فيتور) .. نحن سنهشم الباب ما لم تفتحه .. »
- « اذهب إلى جهنم ! »
كانت هذه العبارة كافية لإثارة حماسه ..
تراجع للوراء واندفع بكتفه إلى الباب .. وكانت
الدفعة كافية لأتى سمعت صوت المزلاج يتهشم .. ثم
انفتح الباب ..

كانت الحجرة مظلمة تماماً .. لكنى تعرفت هيكل
(فيتور) الجالس أمام المنضدة .. وشممت الرائحة
العطنة إياها ..

وفى اللحظة التالية كان (تيبور) يمسك بالتاجر
من قفاه بينما هذا الأخير يصرخ فى جنون محاولاً
التملص ..

لحظة عرفت ورأيت فيها أشياء كثيرة ..
ربما كان أول ما رأيت هو الشيء الأهم ..
لقد كان يمسك فى يده فأراً ميتاً ..





ربما كان أول ما رأيت هو الشيء الأهم .. لقد كان
يمسك في يده قارًا ميتًا ..

ليس الأمر متعلقاً بالجذام أو الدرن ..
إنه متعلق بالجنون .. الجنون المريع الذى يدفع
إنساناً لالتهام فأر دون ذرة اشمزاز ..
ولقد تمكنا من إخراج (فيتور) إلى النور وسط
صراخه وهياجه .. الحق أنه كان شاحباً كالموتى ..
لم أر قط هذا الشحوب على وجه إنسان حى ..
وتجمع الجيران ليروا ما يحدث .. ووقف (ألكسندر)
يرمق المشهد دامع العينين ، وقد عاد مجرد طفل
مذعور .

وبصعوبة تمكنا من اقتياد التاجر الثائر إلى عيادة
د. (ميخائيل) الذى تهشم له طبقان ولوحا زجاج ،
وأصابه الذعر فأعلن أنه غير قادر على السيطرة على
هذا الوحش ..

- « خذوه إلى المخفر .. إلى الزنزانة وسأفحصه
هناك ! »

وتمكنا من اقتياد التاجر المذعور - مرة أخرى -
إلى المخفر .. كانت هناك زنزانة لا بأس بها وضعناه

فيها .. لكن - فى هياجه المسعور - راح يضرب القضبان
برأسه ، ويقول كلاماً مختلطاً لا نعرف كنهه .
لم نجد حلاً سوى افتتاح الزنزانة من جديد ،
وتقييده بمعاونة (تيبور) ، حتى استطاع د. (ميخائيل)
أن يدنو منه .. وهو يرتجف ذعراً كمن يدنو من
أسد .. وأفرغ محقناً مليناً بالفاليوم فى وريده ..
وأخيراً أطلق المريض شهقة طويلة ، ثم غاب فى
سبات هادئ .. واستطاع الطبيب أن يدنو أكثر ..
وأن يتحسس نبضه ويفتح جفنيه .. وأعلن ما توصل
إليه :

- « إنه مريض جداً .. »

فتعالت الأصوات تمتدح عبقريته ، وطالبنا بالمزيد

فقال :

- « إنها حالة (أنيميا) متقدمة .. يبدو أنها أثرت

على توازنه العقلى والنفسى .. »

- « والحل ؟ »

- « لا بد من نقل بعض الدم له .. »

وتم الأمر بسرعة .. أحضر الطبيب بعض الكواشف
الطبية وميكروسكوباً ، وأجرى فحصاً لدمائنا فكانت دماء

(تيبور) العملاق هى الصالحة .. رباد ! لكم أبدى
هذا البطل ذعرا وهلعا كأننا نريد استنزاف دمه حتى
الموت .. وأقنعناه مرارا بأن هذا لن يؤذيه .. لكنه
راح يولول كالنساء الثكالى وهو يرى الدم يتسرب من
جسده ليملاً الزجاجة .

وأخيراً تم إعطاء الدم للتاجر المريض .. صحيح
أنه غير كاف لكنه جعل شفتيه تبدوان أكثر احمراراً
من الورق ..

وعدت لدارى راضياً فتناولت غذائى ، ثم عدت
لمتجر الأدوية كى أفتحه ، وأمارس عملى من جديد ..
وفى المساء توفى التاجر (مازورسكو) ..



وقفت (إيرينا كالسكا) فى متجرى ، وراحت تتأمل
قوارير الدواء فى فضول .. ثم سألتنى :

- « أريد علاجاً لفقر الدم الذى أعانيه .. »

تأملت شفتيها الحمرائين ، وخديها الشبيهين
بتفاحتين ، وقلت :

- « أنت مصابة بفقر دم ؟ »

- « نعم .. أظن هذا .. »

- « لا أعتقد .. »

وهزئت كتفى وعدت إلى ميزانى الحساس أزن به
تركيبة السعال التى أصنعها ..

قالت فى إصرار :

- « لكنى أريد علاجاً لفقر الدم .. ليس من شأنك

أن تمنعنى .. »

وأنا أمقت من يعاملنى كبذال ينحصر عمله فى أخذ
النقود ، ولف السجق فى ورقة ، وتقديمه للزبون ..

إن نى رأياً ينبغى احترامه ..

قلت لها فى جفاء :

« لو كنت نصاباً لأعطيتك ما تريدين .. »

ثم خطرت لى فكرة لا بأس بها فقلت :

- « هذا العلاج ليس لك طبعاً .. »

احمر وجهها قليلاً فعرفت أننى محق .. فأردفت :

- « ربما هو لوالدتك ؟ »

- « نعم .. لكنى لا أريد ذبوع السر .. »

- « هل هى تتصرف بغرابة ؟ »

إزداد وجهها احمراراً كأنما يعلن لى أنها لا تعاني

(الأنيميا) بشكل نهائى .. وقالت :

- « بغرابة ؟ لا .. بل تتصرف بشذوذ إذا أردت
الدقة ! »

- « شذوذ ؟ كأن تخنق القطط وتأكل الزهور ؟ »
- « بل أسوأ .. هي لا تفعل شيئاً من أى نوع ! »
بدا لى كل هذا مألوفاً ..
لكنى فى هذه المرة لم أتحمس كثيراً لزيارة المرأة ..
ناولت الفتاة علبة الحبوب وتقاضيت الثمن فى صمت ..
ليتنى اهتممت بالأمر أكثر !



قال (بوريس) وهو يداعب شاربه الكث ، ويتلذذ
بخشونة لحيته على ظهر يده :

- « دكتور .. ما معنى (أنيميا) ؟ »
قلت له وأنا أتأمل وجهه النابض بالصحة :
- « معناها : أى شىء سوى ما أنت عليه .. »
ضحك كاشفاً عن أسنانه المغطاة بالتبغ ..
كان راعياً قوى البنيان له رائحة الضأن ، لكنه كان
يروق للنساء باعتباره الرجل الذى هو مائة بالمائة
رجل .. إن فى كل رجل جزءاً من الأنوثة ؛ لهذا يُعتبر
(بوريس) حالة فذة غير معتادة ..

قال لى :

- « أنا لست معتلاً .. أريد هذا الدواء لأخى .. »

- « هل هو شاحب ؟ »

- « طبعاً .. »

- « وغريب الأطوار ؟ »

- « بحق (مريم) العذراء ! أنت تعرف كل شىء ! »

ناولته علبة من أقراص الحديد .. يبدو أن

المخزون لدى لن يكفى كل هؤلاء الشاحبين »

ثم إبنى غادرت المتجر قاصداً دار د. (ميخائيل) .

كان النطاسى العجوز هناك عاكفاً على فتح خراج

فى قدم فلاحه .. والمرأة تصرخ كأنهم ينتزعون

عينها بمطواة غير حادة ..

انتظرت حتى هدا كل هذا الصراخ ، وانصرفت

المرأة وهى تطلق السباب واللعنات على الطب

والأطباء ..

قال د. (ميخائيل) وهو يغسل يديه :

- « كلهم نفس الشىء .. يجوب الواحد منهم الدنيا

يعيثُ فساداً ، ويرتكب كل الموبقات .. ثم يصيبه

خراج فى قدمه فيملأ الكون صراخاً ، كأن قدمه هى

ميزان الأكوان وحقيقة الوجود .. وبعد هذا يدفع نى
حفنة (لايات) كأنما ينتزعها من قلب أطفاله .. »

ثم تأمل مال المرأة فى اشمنزاز .

- « إن نقودهم خالية من البركة .. لأنهم يمنحونها

مصحوبة باللعنات والدعاء على أطفالى بالموت .. »

قلت له وأنا أجفف العرق الذى غمر عنقى :

- « هل تصادفك حالات فقر دم كثيرة هذه الأيام ؟ »

فكر قليلاً .. ثم قال :

- « ليس أكثر من المعتاد .. إن طعام هؤلاء الفلاحين

لا يغنى ولا ... »

- « إذن ترى حالات مثل (مازورسكو) ؟ »

- « ليس كثيراً كما قلت .. »

هنا خطر لى أن أحدا لا يبلغه ؛ لأن المرضى جميعاً

يصرون على عدم إطلاع الأطباء ..

لقد فعلها (مازورسكو) وهدد امرأته بالتهام

حنجرتها ، وهو ما أشكره على ما كان من موته

اللطيف قبل أن يفعلها ..

لكن الآخرين فعلوا الشيء ذاته على الأرجح ..

عدت أسأل د. (ميخائيل) - وأنا واثق أن معلوماته

فى الطب لا تفوق معومات أى ترزى - عن احتمال
وجود حالات فقر دم نها شكل وبانى ..

مط شفتيه فى تفكير .. ثم قال :

- « لا أدري .. ربما مع أنملاريا .. او وجود تسمم

بعضى .. او عند وجود مصدر إشعاع نووى .. »

وهز رأسه مستبعدا :

- « لكن لا شىء من هذا فى (هالماجيو) .. »

- « الا ترى أن من واجبت إخطار مكتب الصحة ؟ »

- « لا أظن .. »

قالها فى ثبات وعناد ..

ليس من المستحب أن تبلغ السلطات عن وجود

متاعب فى نطاق عملك .. لأن أول ما سيحدث هو أن

يقصوك عن منصبك ، ولأن بداية الخلاص من

المتاعب هى الخلاص منك ..

إن (شاوشيسكو) يحب عمله حقاً ..



قد يحدث كل شيء فى (رومانيا) ..
صحيح أن (بوكوفينا) لم تظل قط رومانية .. بل
هى تتأرجح طيلة الوقت بين (رومانيا) و (المجر)
لكن قواعد (رومانيا) الصارمة تسرى عليها ..
فى (رومانيا) فقط يمكن أن يكثر النسيجون ..
فى (رومانيا) فقط يحدث هذا بلا تفسير ..
فى (رومانيا) فقط يبدأ الكلام همساً ثم بصوت
عال ..

الكل يعرف أن شدينا ليس على ما يرام يحدث
لكن ما هو ؟



وفى أمسية مقصورة من شهر (يوليو) : أمسية
من النوع الذى يخرج فيه العشاق إلى غابة الصنوبر
المحيطة بالقرية : أمسية من النوع الذى يتدر فيه أن
ترى جثثاً مشوهة ..

أمسية كهذه هى التى وجدوا فيها جثث (يوفيا لاسكى)
فى الغابة .. كانت عيناها ثنائيمتتين السماء فى رعب ..

ولم تكن ثمة آثار عنف فى جسدها ، إذا استثنينا
التمزيق فى عنقها والذى حدث بأنياب حادة .. وكان
رأى الضابط بليغاً جداً :

- « هذه الأشياء تحدث .. »

ثم أضاف يفسر وجهة نظره :

- « إن هذه الذئاب الشهباء لا ترحم .. »

واقنعنا برأيه .. صحيح أن هذا لم يحدث فى
قريتنا قط لكنه ممكن ..

لا بد من مرة أولى دائماً ..

لكن د. (ميخائيل) جاءنى فى المساء وأدخلته زوجتى
إلى مكتبى الذى هو غرفة معيشتى كذلك ..

كان النطاسى العجوز شاحب الوجه ، وجلس يفرك
يديه بعض الوقت ويجفف العرق على جبهته .. ثم
قال :

- « يبدو أنك محق يا (يوليان) .. الأمور على
غير ما يرام فى هذه القرية .. »

قدمت له كأساً من النبيذ كان بحاجة إليه .. وسألته :

- « ما الذى جعلك ترتاب ؟ »

جرع الكأس مرة واحدة ، وقال لاهتاً :



كانت عيناها شاخصتين للسماء فى رعب .. ولم تكن
ثمة آثار عنف فى جسدها ..

- « تلك الفتاة .. (لاسكى) .. لم يكن فى عروقهـا
نقطة دم واحدة ! »

نظرت له فى حيرة ولم أقل شيئاً ..
قال ضاعطاً على حروفه :
- « هل تفهم ؟ ولا نقطة دم .. لقد أفرغ الذئب دمها
كله .. »

- « لكنكم لم تجدوا دماء حول جثتها .. »
- « هذا هو ما أرمى إليه .. لقد تم امتصاص دمها
كله .. »

- « إنك تتحدث عن ... »
وضع الكأس على المنضدة ، وقال :
- « نعم .. نحن فى (رومانيا) .. وأنت تعرف
ما أريد قوله .. »

- « لكن هذا هراء .. أساطير فلاحين .. »
قال فى هدوء :

- « لكنها تفسر كل شىء .. وأعتقد أن من واجبنا
أن نتخذ الأساليب المعهودة فى الأسطورة : الود -
قطع الرأس . ليس مفترضا أن نترك جثتى الفتاة
(ماروريسكو) دون احتياطات .. »

- « يا للهول ! تريد هذا التمثيل البشع بالجثث ؟ »
أحس أنه قد تمادى قليلاً .. فقال متداركاً :

- « ربما حشو الفم بالثوم وقطعتى الفضة على

العينين .. يقولون إن هذا أسلوب فعال .. »

- « وهل تعتقد أن القوم سيقبلون ؟ .. وهل يقبل

القس ؟ »

- « أعتقد أنه لا ضرر فى هذا .. »

فى هذه المرة كان دورى كى لا أبدى حماساً ..

ونجحت فى إقناع الطبيب المذعور بتجاهل الأمر ..

★ ★ ★

لكن الأقاويل تتزايد ..

والحكايات المخيفة تكثر ..

ولاحظت أن الجزء الشمالى من القرية هو موطن

كل هذه القصص ، وخاصة ما يحيط منها بالكهف

القديم الذى كان أهل القرية يتجنبونه بشكل خاص

دون سبب واضح ..

ويقع - ككل الكهوف - عند قاعدة تل حجرى صغير ..

ما هو سرّ هذا الكهف ؟

لقد كان هناك منذ وجدت القرية ، وسيظل بعدها ..

وهو كهف لا يميزه أى شىء خاص .. فهو كهف كائى
كهف آخر .. فم فاغر أسود تدخله وتخرج منه
الوطاويط ..

وللأمانة نم تكن هناك أية أساطير حول هذا الكهف ،
ولم يقل أحد إن الشياطين تكمن فيه أو إن الأطفال
الذين يلعبون جوارده يختفون .. لا شىء من هذا ..
ولم يكن صالحا لاختباء الناس أو للهو الأطفال ، لأن
رائحة عفنة مقيّنة تخرج منه باستمرار كأنه مجرور ..
لهذا لم يكن يثير اهتمام أحد .. ومن دخلوه لم يجدوا
فيه ما يستحق العودة ..
لكن الأقاويل تكثر ..

وبالتدريج صارت القرية تنقسم إلى قريتين :
القرية الأولى جنوبية تجلس جوار المدفأة ليلاً ..
وترتجف .. وتتحدث عن أمور مريبة تحدث فى
القرية الثانية ..

القرية الثانية شمالية خاوية على عروشها ملأى
بأشخاص أغلقوا أبوابهم على أنفسهم ، وكفوا عن
مزاولة أعمالهم ، ولا يعلم سوى الله من أين
يطعمون ويشربون .. وكلهم مصاب بهذا الشحوب ..

صحيح أننا كنا نراهم أحيانا أو نزورهم . لكنهم قد
فقدوا كل رغبة فى العلاقات الودية معنا ..
كأنهم صاروا آخرين ..

ونم يكن فى كل هذا ما يمكن إخبار السلطات به ..
أو إخبار مكتب الصحة .. فمن حق الناس جميعا ألا
يكونوا ودودين ..

لم تحدث حالات وفاة أخرى .. ولم نسمع عن
أحداث عنيفة كالتى حدثت مع (مازورسكو) لهذا لم
يكن هناك ما يُقال ..

إن الأمر شبيهه بأن تبدى رأيك فى رواية نم ترق
لك .. لكنها جيدة من حيث الأسلوب واللغة والحبكة
والشخصيات .. عندها يتقلص وجهك وتقول فى
عسر :

- « لكن شيئا ما ليس على ما يرام .. شيئا ما
غير موجود .. هل تفهمون ما أعنيه ؟ »
كان ذلك حين قررت أن أرسل خطابا إلى مجلة
نسانية أعلنت أنها تحقق فى الأمور الغامضة غير
السياسية .. إنها مجلة يرأس تحريرها صحفي بدأ
يلمع اسمه (جوستاف نيكولسكو) .. فى (رومانيا)

فقط - على ما أعلم - يمكن للذكر أن يرأس تحرير
مجلة نسائية .. وهذه من الأعاجيب التي أتحدث عنها ..
لم أقل كثيراً في خطابي ، ولم أثرثر أكثر من اللازم ،
كما لم أتوقع لحظة استجابة من المجلة .. بل إننى
نسيت الأمر كله ..

حتى فوجئت بزيارة رجلين قادمين من (بوخارست) ..
وكان هذا فى منتصف أكتوبر ..

★ ★ ★

كانت سيارة (زاباروجيتس) فاخرة جداً .. خرج منها رجل فى منتصف العمر أنيق جداً ، فخيم المظهر ، يدخل السيجار ، وقد بدأ الشعر يتساقط عن مقدمة رأسه ، وكان يحمل حقيبة جلدية فاخرة ..

أما الآخر فكان نحيلاً أصلع الرأس ، يشبه القلم الرصاص ذا الممحاة ، لو أن الأقلام الرصاص تضع العوينات .. قال الرجل الأنيق وهو يصافحنى فى تواضع :

- « مرحباً .. لا بد أنك د. (يوليان بودسكو) .. »

- « أنا هو .. »

فالتفت إلى القلم الرصاص ذى الممحاة ليقول بالإنجليزية :

- « قلت لك إننى لم أخطئ العنوان .. »

هنا فهمت سرَ مظهره الغريب .. إن القلم الرصاص أجنبى .. ولكن من أية جنسية بحق السماء ؟ هاتان العينان الجاحظتان تقولان إنه ليس آسيوياً .. لكن بشرته أقل سواداً من الأفارقة .. وشفته أكثر غلظة من الأوروبيين .. أترأه من المريخ ؟ »

صافحنى الرجلان .. وقال الأول :

- « أنا (جوستاف نيكولسكو) .. »

شخصياً ؟! غريب هذا ! رئيس التحرير أت بنفسه
لدراسة الموقف ؟ كنت سأجد الأمر طبيعياً لو أرسل
لى صحفياً تحت التمرين أو صحفية متحمسة ..

أردف وهو يقدم القلم الرصاص ذا الممحاة لى :

- « وهذا هو البروفسور (إسماعيل) من

(مصر) .. »

مصرى ؟ غريب .. إنه لا يشبه المصريين كذلك ..

- « هل وصلتك برقيتى ؟ »

- « للأسف إن خدمة البرق هنا »

- « أفهم .. أفهم .. لا عليك .. هل يوجد مكان

للإقامة هنا ؟ »

ضربت أخماساً فى أسداس .. وقلت حانراً :

- « الواقع لا .. إن دارى صالحة على كل حال .. »

تبادل النظرات مع صديقه .. كأنه يقول له (هؤلاء

الفلاحون !) ..

لكن صديقه كان يتابع الحديث بتلك العيون الزجاجية

المميزة لمن لا يفهم اللغة التى يتم بها الحوار ..

لهذا عاد يترجم له بالإنجليزية ما قيل .. ونم بيد القند
الرصاص سعيدا بهذا ..

لكنهما جاءا دارى على كل حال .. وهى دار لا بأس
بها اعتقد أنها أحسن دار فى القرية ..

تناولنا طعام الغداء ، وعرفتهما زوجتى ، وكنا
حريصين على أن يدور الحديث بالإنجليزية حتى
يفهمنا الطبيب المصرى الذى عرفت أن له باعا ما فى
علوم الميتافيزيقا .. ويبدو أن له شهرة عالمية ما ..
وحكىتهما القصة كاملة ..

ثم استرخيت فى مقعدى منتظرا آراءهما ..



حكاية الطبيب النجیل

يحكيها هو بنفسه

قال د. (رفعت) :

كان (بودسكو) بدينًا جدًّا .. ربما أقرب للبقال الإيطالي كما نراه فى الأفلام .. وبصعوبة يمكنك أن ترى عينًا أو اثنتين ، أو فمًا يتحرك وسط طبقات الشحم والعرق التى تغلفه .. كأنما عيناه وفمه ثقوب فى كتلة من الزبد .. إنه المعجزة الحية فى البقاء حيًا برغم كل هذا الدهن ..

كان يتكلم بانجليزية رديئة ممزوجة بالرومانية .. لكن كلامه كان مفهومًا .. وإن كنت أتوقع فى كل ثانية أن يسقط ميتًا ..

ولنا حكى ما أثار ريبته فى قريته هذه .. ثم طلب منا الرأى ..

قلت فى كياسة :

- « لا يمكن إبداء الرأى مالم نر أحد هؤلاء الشاهبين .. »

قال وهو يهز رأسه فى إصرار :

- « مستحيل .. إنهم لا يقابلون أحدًا .. »

- « تعنى أنهم لا يتسوقون ، ولا يأتون لشراء
(الأسبرين) منك ؟ »

- « إن لهم مجتمعهم الخاص كما قلت لك .. »
تبادلت و (جوستاف) النظرات .. وقلت :
- « كأنه دين جديد .. دين ينفصل أتباعه عن
المجتمع .. »

- « دين الشاهبين إذا راق لك التعبير .. »
هنا قال (جوستاف) وهو يشغل سيجارد :
- « دكتور (بودسكو) .. نحن قوم عمليون نرغب
الانتهاء من هذه القضية سريعاً .. لهذا يجب أن نرتب
أمرنا على أساسين : الأول هو زيارة ذلك الجزء
المعزول من القرية .. الثانى هو رؤية جثث من لقوا
حتفهم وترتيب تشريحها تحت مظلة علمية أكثر
كفاءة .. »

قال (بودسكو) بصوت كالفحيح :
- « لن ترى أحداً على الإطلاق .. كلهم فى بيوتهم
ولا يخرجون .. فقط حين يجىء المساء تسمع
ضوضاء قادمة من هناك .. وبالطبع يخشى الجميع
هاهنا تبين الأمر .. إن البقاء فى الدار ليلاً جوار النار
ليس فكرة رديئة جداً كما ترون .. »

فتح (جوستاف) حقيبتَه الجُديّة الأنيقة ، وأخرج
كاميرا صغيرة ثم أعلن أنه يريد البدء بالنقاط
صورتين للصيدلى ..

ابتسم الرجل ابتسامة بنهاء .. فهو ككل شخص
آخر يسرّد أن يظهر وجهه البدين فى الصحف ، ولعل
الحظ يسعده فيراد (شاوشيسكو) ..
قال (جوستاف) بعد ما انتهى :

- « هل نذهب الآن لرؤية القطاع الشمالى من
القرية ؟ »

نهض الصيدلى معلنا أنه موافق .. فلا يوجد
ما يخشاه هناك فى فترة الصباح والظهيرة ..
ونهضت أنا شاعرا بأنه من السخف أن أخاف شيئا
لا يخافه هذا الصيدلى المذعور كأرنب ..



راحت السيارة تشق شوارع (هانماجيو) الضيقة
المرصوفة بالحجارة .. شمس العصر تغمر كل شيء
بقيظها الذى يداعب فى عينيك رغبة القيولة ..
والحرّ شديد برغم أنه أكتوبر ..

الديار كلها مغلقة ولا أحد بالخارج .. لا طفل يلهو ..

لا كلب يبحث بأنفه فى القمامة .. لا عجوز ينتظر فى
متجره مشترياً لا يجيء ..

الحق أنها كانت قرية الأشباح ..
راح (جوستاف) يجوب الطرق بسيارته بسرعة
جنونية .. يخرج من هذا إلى ذاك ، ويعود من ذاك
إلى هذا ..

لا شيء .. خواء ..
وأخيراً رأى فتحة الكهف الفاعرة إياها ، عند
قاعدة تلّ متوسط الارتفاع .. وكان من الطبيعى أن
يتوقف بالسيارة هناك ..

كانت الأرض منحدرية للوراء فجذب فرملة اليد
محدثاً صوت (كريك ك ك !) الذى بدا غريباً وسط
هذا السكون ..

ورحنا نرمق الكهف فى فضول ..
كان هناك حبل غليظ يمتد بالعرض عبر فتحته ،
فى محاولة بلا جدوى لمنع الناس من الدخول ..
وعلى جانبى الفتحة كانت هناك كتابات بالطباشير ،
وقلوب متشابكة .. إلى آخر هذا الهراء ..

تساءل (جوستاف) :



كان هناك حبل غليظ يمتد بالعرض عبر فتحته ، فى
محاولة بلا جدوى لمنع الناس من الدخول ..

- « ما هذا الكهف ؟ »

قال الصيدلى مفسراً كل شىء :

- « هذا كهف .. »

- « أعلم .. لكن ماذا تعرف عنه ؟ »

قلت أنا فى ملل من اعتاد هذه الأمور :

- « القصة المعروفة .. ثمة شىء ما يعيش

بداخله .. لهذا يهاب الناس الدنو منه ، ويرسمون

علامة الصليب كلما رأوه .. والسر وراء ما يحدث فى

القرية موجود بين هذه الأحجار .. »

هز الصيدلى رأسه البدين عدة مرات ، وقال :

- « بالعكس .. لا توجد خرافات من أى نوع تحيط

بهذا الكهف .. »

كانت الراحة الخارجة من الكهف عطنة جداً ،

وأبدى (جوستاف) ملاحظة بهذا المعنى .. فقال

الصيدلى :

- « هذا حق .. وهو سبب وجيه ، ينفر الشباب من

الدخول فيه .. إن الوطاويط لا تجيد أعمال النظافة كما

هو واضح .. »

قلت :

- « إنها ليست راحة كريهة فحسب .. بل هي راحة شيطانية .. »

ثم نظرت إلى (جوستاف) متسانلاً :

- « من الواضح أننا سندخل .. هل نفعل ذلك الآن ؟ »

- « لا بحق السماء .. لا بد من إعدادات .. لا بد من مسدسات وحبال وكشاف .. أنت تعرف هذه الكهوف .. »

- « إذن ماذا سنفعل الآن ؟ »

- « نجرب قرع الأبواب .. »

قالها وهو يغادر سيارته ..



قرعنا الباب عدة مرات لكن أحدًا لم يرد ..

على حين وقفت أنا على بعد خطوات أرمق نافذة الطابق الأول .. قد لا يفتح أحد الباب ، لكنه حتمًا سيتلصص علينا من عل ..

وكنت محققًا .. فقد رأيت وجه امرأة عجوز ذات شعر أشيب ترمقتى من وراء زجاج النافذة .. ولوهلة التقت عينانا ، ثم رأيتها تغيب داخل الحجرة المظلمة .. عاد (جوستاف) يضرب الباب مرارًا .. ثم إنه

سأل الصيدلى :

- « منزل من هذا ؟ »

- « منزل (ماريا كالسكا) .. أم الفتاة التى لقيت

حقتها .. »

- « إذن دعنا نجرب بابًا آخر .. »

واتجهنا فى صمت - وشمس العصر تحرق عيوننا ،
ولا شئ سوى صوت لهاتنا - إلى باب مجاور ..
فواصلنا قرع الباب ..

قال الصيدلى باسمًا :

- « لا جدوى هناك .. أنا فعلت هذا قبلك مرارًا .. »

هتف (جوستاف) فى جنون :

- « لكن لا بد من وسيلة لإرغامهم على فتح الباب ..

قوة من الشرطة على سبيل المثال أو »

- « لا يوجد خطأ قانونى فى أن يأبى المرء فتح

بابه .. »

لكن - قبل أن يردَ (جوستاف) - كان الباب قد

انفتح ..

وسمعنا من يدعونا إلى الدخول ..

★ ★ ★

كانت الراحة العطنة تزكم أنوفنا .. لكننا دخلنا ..
وفى الداخل كان الظلام دامساً ..
احتجنا إلى بعض الوقت حتى تتكيف شبكيات
عيوننا ، وحتى تتخلص من منات الشموس الملونة
التي راحت تطبعها على كل شيء ..
أخيراً رأينا أسرة من ثلاثة أفراد تجلس على
منضدة فى الظلام ، وكان هناك شبح طويل القامة
يعود ليتخذ لنفسه مقعداً .. فعلمت أن هذا هو من فتح
لنا الباب ..

- « ماذا تبغى يا (يوليان) ؟ »

قالها الشبح الطويل بصوت مبحوح .. طبعاً لم أفهم
ما قال ، لكن (جوستاف) هو من ترجم لى الحوار
بعد ذلك ..

كانوا فى الظلام فلم أستطع رؤية وجوههم .. لكنى
لم أحب كثيراً تلك الظلال المميزة لهم .. كما أتى ثم
أحب ذلك الصوت المتحشرج ..

سأنقل لك المحادثة كما ترجمها لى (جوستاف)
فيما بعد ..

قال (يوليان) :

- « (ميخائيل) .. ماذا دهاكم جميعاً ؟ هل أصابكم
الجنون ؟ »

قال (ميخائيل) الذى عرفت أنه الشبح :
- « لم يحدث ما يدعو لحيرتك يا صديقى .. أنت
ترانا بخير .. »

- « بل صرتم فى عالم آخر غير عالمنا .. »

- « ليس حبّ الانعزال جريمة .. »

- « ربما كان مرضاً .. »

قال (ميخائيل) وهو ينهض ..

- « أنا أحبك أيا (يوليان) .. ولهذا أنصحك كل
النصح ألا تفتش عن الحقيقة كثيراً .. فالحقيقة أكبر
منا جميعاً .. وأنصحك كذلك ألا تأتى ها هنا ليلاً .. »
تلفت (يوليان) حوله بحثاً عن شخص غير
موجود .. وتساءل :

- « أين (إيزيبا) ؟ »

قال (ميخائيل) بنفس الصوت :

- « (إيزيبيا) ماتت يا (يولييان) .. منذ شهر .. »
كان هذا حين علمنا - فيما بعد - أن (إيزيبيا) هي
.. زوجة الرجل .. ويبدو لسبب ما أن الخبر كان غير
معقول ، لأن (يولييان) راح يردد فى هستيريا
وذهل :

- « ماتت ! (إيزيبيا) ماتت ؟ وكيف لم نعلم ؟ »
- « إن الموت يحدث .. ولا يجدى إخفاؤه أو
إعلانه .. »

- « وأين دفنتموها إن لم يكن فى الكنيسة ؟ »
- « قُتت لك يا (يولييان) إنما لم نعد ننتمى لكم ..
ليس مأكلا مأكلم ولا مشربنا مشربكم ، ولا ديننا
دينكم ، ولا قبورنا قبوركم ! »
هنا تدخل (جوستاف) فى هذه المحادثة الرومانسية
الشانقة ، التى لا أفهم منها حرفاً سوى الإيماءات
والنظرات ..

قال (جوستاف) :

- « ليس هذا سهلاً فى دولة مثل (رومانيا) ..
لا أحد يستطيع أن ينفصل عن المجتمع مكونا مجتمعاً
جديداً .. إن مخالب السلطة فى كل مكان وداخل كل

شق فى الصخور .. حتى الجثث فى قبورها خاضعة
للفريق (شاوشسكو) .. »
سمعت لفظة (شاوشسكو) ففهمت أن فى الأمر
تهديداً ما ..

قال (ميخائيل) :

- « حتى رفيقك (شاوشسكو) لن يستطيع الوصول
إلينا الآن .. فنحن فى عالم آخر بعيد عن كل
ما تخافونه .. »

ثم أشار إلى الباب إشارة صامتة ..

قال (يوليان) وهو ينهض :

- « أخشى يا (ميخائيل) أننا مضطرون لإبلاغ
السلطات فى (بوكوفينا) .. وليس هذا ضد حق
الجيرة بل هو معه .. »

وفى صمت مشينا إلى الباب وسط الظلام ..

صوت أخشاب الأرضية ينن تحت أقدامنا ..

ولحسن الحظ لم يفعل أحدهم ما كنت أخشى أن يفعلوه .

مثل ماذا ؟

مثل قتلنا طبعاً !



فى دار الصيدلى : تناولنا طعام العشاء ..
كانت على الحائط ساعة عتيقة من العصر
الباليوزى ، من التى تجلب الأشباح وتوشك دقائقها
على إيقاظ الموتى .. بينما كانت هناك فوق رف
المدفأة أيقونة للسيدة العذراء .. و صليب كبير جداً ..
وبضع صور للمرحومة خالة والدته ..

وكانت الزوجة بدينة جداً كزوجها .. لكنها صموت
تبتسم فى تحفظ طيلة الوقت .. وكان طهيها رديئاً
على عكس كل البدينين الذين يجيدون الطهى غالباً ..
إن الطعام الروماتى جيد وقريب جداً من طعامنا ..
الأمـر الذى يؤكد لك أن طهيها كان سيئاً حقاً ..

قال (جوستاف) وهو يجرع ما بقى فى كأسه :

- « بعد العشاء سنعود إلى الشاحبين ! »

كان هذا كافياً كى يتوقف الطعام فى حلقى ..
ورحت أسعل فناولنى لكمة بين لوحى كتفى وكوباً من
الماء .. ثم قال :

- « هذا هو الحل الوحيد كى نكمل مهمتنا التـعـسـة ..

نحن نعرف أن شيئاً مريباً يحدث ليلاً .. ما هو ؟ »

قال الصيدلى وهو ينزع المنشفة من عنقه :

- « فى هذه الحالة أنا لن ألحق بكم .. آسف .. »
- « هذا حقك يا صديقى .. لكننا فى حاجة إلى
بعض الأشياء .. »

ثم راح يعدّ على أصابع يديه :
- « أولاً : نحتاج إلى كشاف .. ثانياً : نحتاج إلى
حبل .. ثالثاً »

هتف الصيدلى غير مصدق :
- « أنت لن تدخل الكهف الآن ! »
- « لم لا ؟ سنحاول لو وجدنا فرصة ما .. ثالثاً
نحتاج إلى سلاح .. إن معى مسدسى .. »
قلت أنا دون حماس :

- « مسدسى معى أيضاً .. »
- « هذا رائع .. هيا بنا .. »
طبعاً حاول الصيدلى إقناعنا لكننا - أعنى
(جوستاف) - لم نبد على استعداد للين .. ولكم
تمنيت لو أن هذا الرجل يملك القدرة على الإقناع !
غريب أمر (جوستاف) !

لقد عرفته دوماً شخصيّة ذكية ، لكنها أقرب إلى الخفة
والافتقار إلى الصرامة .. لكن ترقّيه فى المناصب

والسن جعله شخصية كاسحة تتعذر مقاومتها ..
وصار أكثر شجاعة وحزمًا ..

إن الشخصية لكيان غير مفهوم .. هل حقًا ذلك
القائد الهمام هو ذات المتردد بطيء الفهم الذي عشت
معه قصة المذعوب إياها ؟

وجلب لنا الصيدلى ما طلبنا ، وتمنى لنا حظًا سعيدًا ،
ورجانا ألا نتهور أكثر من اللازم .. فلا أحد يعرف
على وجه اليقين ما يمكن أن نجده .. ولم تكن لدى
أية نية للتهور على كل حال ..

وفى العاشرة مساءً انطلقنا إلى الجزء المعزول ..



- « الآن نترجل .. »

قالها (جوستاف) وهو يوقف محرك السيارة ..
لم تكن لدى نية من أى نوع لمغادرة السيارة ..
فهى تبدو كببيت آمن دافئ ، والليل قد صار أبرد ..
والظلام صار أكثف ..

- « هل لا بد من تركها ؟ »

قال فى غيظ :

- « هل تمزح ؟ هدير محرك سيارة وكشافتها وسط
هذا السكون والظلام ؟ إن الموتى سيغادرون قبورهم
مذعورين »

وغادرنا السيارة ؛ بعد ما أوقفها (جوستاف) فى
زقاق مظلم من أزقة القرية المتشابهة كلها
والمرصوفة - دائماً - بحجر الإسكافى ..

- « هل الحبل معك ؟ »

- « وهل الكشاف معك ؟ »

- « إذن نحن مستعدان .. »

وانسللنا صامتين كاللصوص عبر الأزقة ، لانهتدى
إلا بضوء خافت من آن لآخر لمصباح باهت فى
طريقنا ..

لكن صوت الصخب كان يخبرنا أننا لم نضل الطريق ..

★ ★ ★

أى مشهد رهيب رأيناه !

كنا ندنو من النيران الملتهبة التى أشعلوها فى
وسط الشارع .. والتى تعلو إلى عنان السماء ، والتى
يمارسون حولها نشاطاً لا أدرى كنهه .. يتخاله
صخب غير معتاد ..

وهمس لى (جوستاف) :

- « لا تدن .. تعال نتوار .. »

ووجدنا وراءنا بيتاً بابيه موارب .. واضح أن
صاحبه قد غادره متعجلاً كى يلحق بهذا الاحتفال ..
ولم نتردد .. دخلنا الباب إلى الداخل المظلم عطن
الرائحة .. أين شممت هذه الرائحة من قبل ؟ أه ..
فى الكهف طبعاً ..

كانت هناك درجات سلم متآكلة تقود إلى طابق ثان ..
ومن هناك تغدو الرؤية أفضل ..

صعدنا فى الدرج الذى لم يكن يحدث صريرا ..
ومن النافذة كان وهج النار يغمر القاعة بضوء ذهبى
رقراق ؛ يسمح لآلف خاطرة مروعة بأن تولد ..
نظرت إلى الوراء فى ذعر وتحسست مسدسى ..
لا أحب كثيرا أن أجد صاحب الدار يقف وراءنا فجأة ..
متى سيعود ؟ هل سنشعر به ؟
ثم كتمت خواطرى ودنوت من النافذة ، ورحلت
و (جوستاف) نرمق المشهد راكعين على ركبتينا ..
كان المشهد عامة يوحى بطقوس ما ..
للدقة أكثر كان يوحى بطقوس الخصوبة كالتى
يذكرها من رأوا فيلم (رجل الخيزران) .. هذا الجو
الهمجى الوثئى الذى يجمد الدم فى العروق ..
كانوا يدورون دون كلال حول النار المشتعلة فى
وسط الشارع .. نار مضمرة فى ما تيسر لهم من
أخشاب وإطارات قديمة ..
رجال ونساء كلهم شاحبو الوجوه إلى حد يذكر
بحرباء مذعورة .. وقد اكتسبت وجوههم المتألقة فى
النيران طابعا مربعا يوشك أن يكون سينمائيا ..
وفى السماء ترددت الأهازيج التى يترنمون بها ..

- « ماذا يقولون يا (جوستاف) ؟ »

- « لا أفهم حرفاً .. »

لا يفهم حرفاً مما يغنون .. لكنهم يغنونه بحماس ..
وأدركت من موقعى أن ثمة ما ليس على ما يرام
فى مظهرهم ..

الشحوب ؟ لا .. لا .. شىء آخر ..

من هذه المسافة البعيدة وبرغم وهن بصرى أرى
شيئاً ما خطأ ..

إن وجوههم متآكلة مهترنة .. وأنوف بعضهم يذات
تتساقط .. هل الجذام ؟ لا .. لا يبدو الجذام هكذا ..
وسرت قشعريرة فى عمودى الفقرى ..
إن هؤلاء القوم يتحولون إلى مسوخ ..



وتذكرت مشهداً مماثلاً لهذا فى (جامايكا) .. منذ
أعوام طويلة .. سحرة (الفودو) كانوا ملتفين حول
شاب ، يقومون بتحويله إلى (زومبى) .. (كودىكا) ..
(كودىكا) ..

رباه ! إننى أسترجع ذات الشعور المقيت بكل
تفاصيله ..

ويسقط القلم من يدي ..

★ ★ ★

ولم يكن الشاب الذي يلتفون حوله مقيدا إلى عمود
هذه المرة .. كان معلقا من قدميه كالذبيحة ..
وأدركت أنه حي .. وأنه مذعور .. وأنه يتلوى
محاولاً الفرار حاسباً - ذلك الأحمق - أن مجرد الإصرار
كاف لقطع حبل غليظ كهذا ..

همس (جوستاف) :

- « بحق السماء ! من هذا ؟ »

- « إنه القربان الدموي لهذا الحفل الوثني .. هذا

واضح .. »

آه لو لم يكن ذلك الشعور الجهنمي بأن هناك من

يراقبني !

★ ★ ★

هو - الذي يمشى في الظلال - يراك ويسمعك الآن ..

★ ★ ★

هو - الذي يمشى في الظلال - يعرف أنك هنا ..

★ ★ ★

هو - الذي يمشى في الظلال - لا يعرف معنى الأعذار ..

★ ★ ★

كانوا يتصرفون فى سلاسة ويسر كأنهم فعلوا ذات
الشيء مراراً ..

أولاً : دار عليهم من يحمل صينية عليها عدد كبير
من الكنوس الزجاجية الفارغة .. فأخذ كل واحد
كأساً ..

ثانياً : دنت امرأة عجوز شعرها أشيب - لا أستبعد
أنها من كان يرمقنا من النافذة - حامله مدية صغيرة ..
ثالثاً : بالمدية أحدثت جرحاً فى عنق الشاب المعلق ..
رابعاً : راح كل منهم يدنو بالكأس ليفعمه من الدم
المتساقط .. كانوا يقومون بهذا وهم يتحركون على
شكل دائرة .. كل يملأ كأسه مرة .. ويجرعه مرة
واحدة .. ثم يتحرك فى الدائرة بينما يتلوه آخر ..

إن الإنسان يحوى خمسة لترات من الدم ..
والكأس يسع مائة سنتيمتر مكعب .. أى أن هناك دمًا
يكفى لملء خمسين كأساً .. ولما كان عددهم يقرب
من الثلاثين ؛ فقد قدرت أن ثلثيهم - من سعداء الحظ -
سيملئون الكأس مرتين ..

حسبة صغيرة كانت نتيجتها أننى تحسست جيبي ،
حتى وجدت زجاجة أقراص (النيتروجلسرين)
فدسست واحدًا تحت لسانى ..



دنت امرأة عجوز شعرها أشيب - لا أستبعد أنها من
كان يرمقنا من النافذة - حامله مدية صغيرة ..

أما (جوستاف) فقد تصلب كتمثال (أياح حتب) ..
لحظات ثم سمعت الـ (أوع) المميزة المألوفة ..
بعض الناس لا يملكون قلوبًا واهنة ، لكن لهم معدة
أوهن ..

وحين استعاد قدرته على الكلام هتف :
- « (رفعت) ! إنهم غيلان ! »

★ ★ ★

هو - الذى يمشى فى الظلال - سيعود وينتصر ..

★ ★ ★

لماذا يفعلون ذلك ؟

إن كثيرين يصابون بفقر الدم .. لكن شرب الدم لم يكن يوماً من الأساليب المحببة لعلاج هذا المرض ..
إنه احتفال قائم على تصفية دماء هذا الشاب ثم شربها .. وهو - بحق - أسلوب غير معتاد .. لعل امتصاص الدماء أكثر احتراماً و اتفاقاً مع التقاليد ..
أما ما حدث بعد ذلك فكان غير معتاد بدوره ..
لقد أسكرتهم الدماء ! تحولوا إلى مجموعة من السكران المعتوهين يتطوحون يميناً ويساراً ويحدثون صخباً .. وبعضهم راح يرقص رقصة خرقاء غير متسقة .. أو يقوم بحركات بهلوانية لا معنى لها ..

قال (جوستاف) غير مصدق :

- « بل هم مجانين كذلك ! »

- « أظن أن هذا أمر مفروغ منه .. »

ومن جديد عاودنى الشعور السابق بأننى مراقب ..

نظرت إلى الوراء .. لم تكن الحجرة مظلمة تماماً
بفضل ضوء الذهب .. ولم يكن هناك ما يخيف سوى
قطع الأثاث القديمة ..

لكنى شعرت بتلك الغريزة الملحة تقول لى : اهرب !
اهرب ، كأن الجحيم يطاردك !

قلت لها : كفى سخفاً .. فأنت تجعلين منى جباناً ..

قالت فى نفاذ صبر : وهل كذبت عليك من قبل ؟!

الحق أن لا .. وهكذا قلت لـ (جوستاف) :

- « أعتقد أن الوقت قد حان للفرار .. »

- « لكننا لم نفهم شيئاً ولم ندخل الكهف .. »

- « لا أظن أنهم سيعطوننا فرصة لمحاولة هذا ..

لو أردنا العودة فليكن هذا صباحاً ومع آخرين .. »

فكر قليلاً ثم رأى أن الصواب هو ما قلته .. قال

وهو يبتعد عن النافذة :

- « لا بأس .. من يدري ؟ لربما عدنا بقوات من

الجيش .. فهذا المكان يستحق الحرق بقبلة ذرية .. »

ولاهتين ككلبين فى يوم حار ؛ رحنا نهبط فى

الدرج قاصدين الباب الخارجى .. ومذ (جوستاف)

يده ليفتحه ..

لقد تأخرنا أكثر من اللازم ..
ليتنا فعلناها منذ دقيقتين أو أكثر ..
كان صاحب الدار عائداً إلى داره لغرض ما ..
وحين فتح الباب ورأى وجهينا اتسعت عيناه
ذهولاً ..
وسمعه يقول شيئاً ما بصوت كالفحيح ..



كانت ملامحه واضحة بصعوبة فى الضوء الخافت ،
لكنى - بطريقة ما - كنت أرى عينيه تلمعان فى الظلام
كجمرتين ..

وأدركت - والقشعريرة تغمر جسدى - أن هذا المخلوق
يرى فى الظلام بشكل جيد جداً ..
ولم يكن أمامنا وقت للتردد أو البحث عن حل أمثل ..
حياتنا تتوقف على العنف ولا شىء سواه ..

وهكذا - فى اللحظة ذاتها - ركلت الرجل فى أسفل
بطنه .. بينما هوى (جوستاف) بيده المتشابكتين
على مؤخرة رأسه .. وحين تداعى الرجل للأرض ركله
(جوستاف) بين أضلعه بحذائه الفاخر الغليظ ..

مددت يدي إلى قدامتى فأشعلتها وقربتها من وجه
الرجل ، لأتبين ملامحه حيث تمدد على الأرض فاقد
الوعى ..

وهمست :

- « رباه ! إنه لا ينتمى للبشر ! »

وهمس (جوستاف) :

- « مسخ ! »

كانت أذناه متآكلتين وأنفه مجدوعاً .. أما بشرته
الشاحبة كهذه الورقة فكانت ملأى بالقروح .. ومن
بين شفثيه سال خيط من الدماء .. ليست دماء طبعاً ..
لكنه - ولله الحمد - لم يكن ذا أنياب ..

- « هل هو مجذوم ؟ »

سألنى (جوستاف) وهو يرتجف ..
قلت وأنا أطفئ نور القداحة كي يذهب هذا المسخ
بعيداً :

- « لقد رأيت مجذومين كثيرين فى حياتى ..
ويمكننى أنؤكد أن هذا لا يمت لهم بصلة .. »
وفتحت الباب أكثر كي يتيح لنا الخروج ، ورفعت
قدسى لأعبر فوق الجثة .. حين ... إن هذه الأشياء
تحدث دائماً فى هذه المواقف ..

لقد شعرت بيدين من حديد تتشبثان بكاحلى ..
ثم تحررت يد منهما كي تمسك بكاحل (جوستاف) .
لقد أفاقت ضحيتنا وتشبثت بساقينا كمصايد الدببة ..
وسرعان ما تعثرت وسقطت على الأرض ، بينما راح
(جوستاف) يواصل الركल محاولاً ألا يفقد توازنه ..

لكن الرجل الساقط على الأرض كان قوياً أو منحه
الغضب قوة .. وقد راح يمسك بنا وهو يطلق
صرخات عاتية كأنه عربية إسعاف مصابة بسرطان
الحنجرة ..

اخرس .. عليك اللعنة ! اخرس !
لو كنا رجلين سواتنا أنا و (جوستاف) - طبيب
وصحافي - لعرفا كيف يخرسان هذا المستغيث ..
لكننا لم نجد حلاً أو منعنا الرعب من إيجاد حل ..
وإن هي إلا لحظات حتى انفتح الباب تماماً ..
ولمحمنا في الظلام - لأن اللهب كان وراءهم -
عشرة وجوه على الأقل من وجوه هؤلاء القوم ..
كان بعضهم يحمل العصا .. وبعضهم يلوح بسكين
هائلة .. واثنان كانا يمسكان بمنجل من هذا الذي لا تراه
إلا في يد الموت على ورقة (التاروت) إياها ..
مدّ (جوستاف) يده إلى مسدسه وشهره في
وجوههم وهو يرطن بالرومانية مهدداً بالتأكيد ..
قلت له وأنا أنهض من عثرتي ، وقد تراخت قبضة
الرجل :

- « لا يا (جوستاف) .. لا ! لن تنال منهم سوى

اثنين أو ثلاثة ثم يمزقنا الباقون إرباً .. لا يبدو أنهم
يخافون شيئاً .. »

قال أحدهم شيئاً ما ، ثم دخل إلى المنزل المظلم ..
وكما توقعت تماماً انتزع المسدس من يد (جوستاف)
دون أن يتردد لحظة ..

لا أدري متى ولا كيف أخرجونا من المنزل ..
كانوا يهددوننا بأسلحتهم الفطرية ، وهم يفتادوننا
إلى النيران التي تزداد تأجباً ..

ووجدت نفسي واقفاً على بعد أمتار من الجثة
المتدلية ، التي كفت عن الاحتضار منذ دقائق ..

كنت أتمنى أن أمتع القارئ أكثر ، فأقول إنهم مزقونا
إرباً أو ألقوا بنا في النار .. لكنى مازلت حياً أحكى
هذه الأسطر .. إذن لم أمت لكنى دنوت من ذلك جداً
للأسف ..

وكما أقول دائماً في قصصى : ليس المهم ما حدث ..
المهم كيف حدث ؟

ماذا كنت أقول الآن ؟

آه ! وجدنا نفسينا نقف جوار النيران ، بينما هؤلاء
القوم يحيطون بنا .. وفي ضوء اللهب أدركت أن
ظاهرة التآكل عامة ..

إن قرية (هالماجيو) تمرّ بأشنع تحوّل مسخى
يمكن وصفه ..

ونظرت إلى (جوستاف) الذى وقف محتفظاً
بوقاره .. وقد راح يتكلم معهم بالرومانية .. على
الأقل هم لم يفقدوا فهمهم للغة بعد ..

إن لغة الإيماءات والنظرات تفسر ستين بالمائة من
هذه المحاوره :

- « من أنتما أيها الدخيلان ؟ كيف تعديتما على
حفلنا الدينى ؟

- أنا صحافى من (بوخارست) ولى اتصالات
مهمة .. وثقوا أن (السكيوريتاتيا) لن تتركنى دون
بحث محمود عنى ..

- هاها ! لا أحد يعرف أنكما هنا .. ونحن لم نعد
تحت سيطرة أحد ..

ثم تدخل رجل تعرفت صوته المبحوح دون جهد ..
إنه (ميخائيل) زوج (إيزبيا) الذى كنا عنده صباحاً ..
لغة الإيماءات والنظرات : ألم أقل لكم أن تتركونا
وشأننا ؟

- هل تعرفهما يا (ميخائيل) ؟

- إتهما كانا فى القرية صباحاً مع الصيدلى
(يوليان) ..

هنا التفت لى (جوستاف) وبدأ يترجم ما قيل ..
قلت له فى نفاذ صبر :

- « دعك من هذا .. كل هذا مفهوم .. ماذا ينوون
عمله معنا ؟ »

- « لم يتفقوا بعد .. ظننتك فهمت هذا أيضاً .. »
ثم همس فى خطورة :

- « إتهم لا ينادون بعضهم بالأسماء العادية .. بل
يستعملون ألفاظاً ونعوتاً مثل (شيطان الظلام)
(زهرة القبور) و (نهر النار) .. بل إتهم يسمون
القرية كلها باسم (إيفرنوس) »

(إيفرنوس) هو الاسم اللاتينى للجحيم .. وهو
مألوف لمن قرأ (الكوميديا الإلهية) للإيطالى
(دانتى) ..

دنت المرأة العجوز التى لا أستبعد أن تكون لعبت
المسافة يوماً مع (خفرع) .. وكانت تحمل فى يدها
كتاباً سميكاً مهترئ الصفحات لكن له هيئة كتب
الصلوات ، وعلى غلافه لمحت الرمز العتيد ، الصليب
المقلوب .. إذن فالأمر هكذا ..

ورأيته ترفع يدها اليسرى التى تشقق جلدها
وتأكل .. قبضة مضومة يبرز أول وآخر إصبع منها ..
وهو الرمز العتيد الآخر الذى أعوذ بالله من تفسيره ..
قبضة الإلحاد ..

كانت تتكلم وتتكلم بصوت رفيع جهورى .. وأدركت
أنها الكاهنة العظمى فى هذا المجتمع الغريب ..
قال (جوستاف) متابعاً كلامها جملة فجملة :

- « إنها تقول إننا مرغمان على الانضمام إلى هذا
المجتمع ، والتخلص من خطايانا للأبد .. إنها تسمى
نفسها (الروح الكبرى) ، وتقول إننا سنغدو أخوين
من إخوة الدم فى هذا الجمع .. لا توجد فرصة للخيار ؛
لأن هناك سبيلاً واحداً هو الموت .. تقول إن (المعلم
الأكبر) قادم عن قريب .. عندها يندم الخطاة الذين لم
يقاوموا كبريائهم .. والذين تقلصت وجوههم
اشمئزاً عندما لمس كأس الدم شفاههم ، والذين
أفرغوا أمعاءهم عندما طلب منهم التهام الفئران ! »

واضح أن (جوستاف) مترجم ممتاز ..
واضح أنه لم يخلق أية عبارة من خياله ..



ورأيته ترفع يدها اليسرى التى تشقق جلدها وتاكل ..
قبضة مضمومة يبرز أول وآخر إصبع منها ..

تأكدت من هذا حين قدموا لى الكأس المترع بالدم ..
و حين رأيت الدعوة فى عيونهم .. و حين سمعت
(جوستاف) يقول :
- « إنهم ينتظرون منك أن تشرب !! »

★ ★ ★

حكاية الروح الكبرى

تحكيها هي نفسها

قالت (ماريا كالسكا) :

لم يعد من حقى أن أسترجع الماضى .. أو أذكر
نفسى باسمى القديم قبل أن أنال كهنوت الدم ؛ لكنى
مضطرة لذلك ما دمت بصدد سرد القصة منذ بدايتها ..

★ ★ ★

هو - الذى يمشى فى الظلال - يعلم أننى أقول هذا
مرغمة ..

هو .. المعلم الأكبر .. خريولسن .. كل هذا يعنى
الشيء ذاته .. وهو قد سمح لى بالكلام .. لهذا أتكلم ..

★ ★ ★

قبل الرويا كنت أمًا لطفلين ، وأرملة فى الخمسين
من عمرى .. صحيح أننى أبدو فى الثمانين لكل من
يرأتى ، لكن ما ذنبى ؟ لقد تضافرت على شبابى نواب
الزمن وخطوبه ، وتركت كل نائبة جرحًا لا يزول على
وجهى .. حتى قيل إن خارطة الطرق فى (روماتيا)
مرسومة على ملامحى بدقة مذهلة !

أورثوذكسية متدينة ، أقرأ فى الإنجيل كل ليلة ،
وأشعل الشموع فى الكنيسة ، وأبكى أمام تمثال
(مريم) العذراء .. كان هذا قبل الرويا طبعاً .. وقبل
أن يتخذ منى هو - الذى يمشى فى الظلال - كاهنته
العظمى ..

كان لى طفلان جميلان .. (إيرينا) المراهقة
الحسنة ، التى يحلم بها نصف شباب القرية ، ويتمناها
النصف الآخر .. و (فالستا) الطفلة التى ستكون
(إيرينا) يوماً ما ..

رباه ! يا لها من حياة !
تربية طفلين دون دخل تقريباً .. الفقر .. الفقر ..
كلما ازدادت فقراً ، كلما ازدادت اتحناءً ، وازداد وجهى
تجعداً ، وخلا فمى من أية أسنان ..



والآن نقف جوار النيران نرمق المتطفلين ..
كانا رجلين من (بوخارست) .. أحدهما تبدو عليه
أمارات الثراء والثقة بالنفس .. أما الآخر فهو أوسم
مخلوق وقعت عيناى عليه .. إنه نحيل يضع العوينات
مما يعطيه سمّاً مهذباً متحضراً .. وأصلع الرأس ،

وأنا أحب صلح الرأس فى الرجال لأنه يوحى بالنضج
والنظافة ..

لم يعد سنى ولا منصبى يسمحان بالوقوع فى الحب ..
لكنى لو فعلت لكان هذا المصرى الجميل أول من
أختار ..

نعم هو مصرى .. صاحبه قال إنه طبيب مصرى ..
وقال عن نفسه إنه صحافى كبير من (بوخارست) ..
لا يهم هذا .. نحن لم نعد ننبهر بالمناصب الدنيوية ..
إنهما سينضمامان إلى الشاحبين الآن ما دام قد جاءا ..
غير مجبرين ، غير مخدوعين ، غير مغرر بهما ..
« بكامل إرادتهما الحرة جاءا » كما يقول مصاصو
الدماء ..

★ ★ ★

هو - الذى يمشى فى الظلال - اختارنى ذات ليلة ..

★ ★ ★

لم تكن لى أية علاقة بالموضوع حتى شهر (مايو)
الماضى ..

كنت أقضى وقتى فى تخليل البصل ، وصنع السلال
بغرض بيعها .. كما أننى كنت أخيط ثياب الأعراس
مقابل أجر ..

وكانت (إيرينا) تساعدنى تارة وتتهرب منى تارة ..
من العسير أن تقنع فتاة مراهقة بأن مسئولية البيت
تمنعها من المرح ، وزيارة أترابها ، واللعب فى
المرج وصيد اليعاسيب ، أو قطف الزهور كى تدسها
خلف أذننها كما تفعل بنات (هاواى) فى الصور ..
الحق أن (إيرينا) كانت بارعة الحسن .. والفتاة
المراهقة قد تكون عسيرة فى تربيتها ، لكن المراهقة
الحسنة مستحيلة ..

كنت بحاجة إلى رجل بجائى .. رجل له عيان
ينبعث الشرر منهما ، وله (شخطة) ترتج لها
جدران المنزل وقلب (إيرينا) ..
ولم يكن هناك رجل يصلح سوى (بيلاسكو) ..
(بيلاسكو) جارى الذى توفيت زوجته منذ عام ..
وهو مدرس فى مدرسة القرية .. أصلع الرأس نحيل ..
أى أنه فتى الأحلام .. ومن الطبيعى جداً أن يطلب
يدى .. فهو أرمل وأنا أرملة .. وبيتاتا متلاصقان ..
ولديه ولد ولدى ابنتان ..

لكن الأحق لم يبد قط أية رغبة للزواج من أى
نوع .. فقط كان يتردد على الدار مساءً ليجلس
ويثرثر ويشرب بعض (الروم) ، ثم يقول :

- « إن الحياة لقاسية يا (إيرما كالكسا) .. كل
هذه الوحدة .. »

ويسكب ما بقى من القدح فى حلقه .. وينهض ..
فقط لاحظت فى الآونة الأخيرة أنه يزداد شحوباً ..
كان يجيء دارى ليلاً .. وفى كل ليلة كان يبدو
أقرب إلى لون الليمونة الناضجة أكثر فأكثر ..
سألته فى ذات ليلة .. وأنا أرشف من شراب عطر
الرائحة أهده لى :

- « هل أنت مريض يا (بيلاسكو) ؟
بدت عليه الحيرة .. ثم سألتنى عن السبب .. قلت
وأنا أعيد الكوب لموضعه :

- « يقولون إنك لم تعد تغادر دارك .. لم تعد تغادر
غرفتك .. ثم هذا الشحوب .. وهذه الرائحة .. بحق
(مريم) العذراء أشعر كأنك تتعفن حياً ! »
قال وهو يهز رأسه كمن يطرد خاطرة ما :

- « لا شئ من هذا يا (إيرما) .. إنها الوحدة
لا أكثر .. أحوالى سيئة وأشعر بأننى لست على ما يرام ..
أنت تعرفين أن الصحة والنظافة مرادفان للسعادة ..
الاكتئاب يجعل المرء شاحباً قليل الاستحمام .. »

ورأيت الدمع فى عينيه قربت على كتفه ..
كان يرتجف .. ورفع عينيه نحوى .. وهمس :
- « هل الفتاتان هنا ؟ »

- « هما عند خالتهما هذا المساء .. »
وقبل أن أفهم ما يحدث أنشب أسنانه فى ساعدى !
كان هذا آخر ما توقعت .. وأطلقت صرخة هائلة ،
لكنه كان قد أطبق على الساعد فى عنف .. وسالت
الدماء و ...

ملحوظة د. (رفعت) : نظراً لأننى أكره العنف فقد
حذفت وصف هذا المشهد الدموى - الذى يستغرق
صفحة من حديث المرأة - وأكتفى بالقول بأن
(بيلاسكو) امتص دماء (إيرما) بالكامل .. وأنها فى
البداية قاومت بعنف ، ثم لم تعد تجد الأمر سيئاً إلى
هذا الحد .. كان يقودها إلى نوع من الخدر اللذيذ ..
كأنها تخطو إلى النوم بعد يوم من الغناء ..
تقول (إيرما كالسكا) :

- « حين غبت عن الوعى كان صوت (بيلاسكو)
الرخيم يتردد فى ذهنى ، يقول ضاغطاً على مقاطعه :

- « أنت لن تموتى أى (إيرما كالكسا) .. ستعيشين
لتكونى من إخوة الدم .. وعندها ستلفظين خطايا
الماضى .. »

وحين صحت من نومى عرفت أننى صرت منهم ..

★ ★ ★

يا للنور ! يا للضوء !

أنا لم أعد منكم يا حمقى .. إننى أقرب إلى شاعر
مرهف الحس ييغى نظم قصيدة ؛ لكن الغوغاء
لا يريدون تركه فى حاله ..

كانوا يقرعون الباب على طيلة اليوم .. يتساءلون ..
يضيئون الأنوار .. يتأملون وجهى ..

لكنى كنت أصرخ فيهم غاضبة .. دعونى وشأنى ..
أريد الجلوس فى الظلام المقدس حتى يأتى الوعد ..
وكانوا يقدمون لى طعاماً رديئاً جداً .. لكنى كنت قد
وصلت إلى حقيقة لم أسغها قط من قبل : إن لحم
الفئران وخشاش الأرض ليسا بهذا السوء ..

لم يأت (بيلاسكو) قط ليراتى ..

لكنى كنت أسمع صوته طيلة الوقت فى ذهنى :

- « هو - الذى يمشى فى الظلال - ينتظر .. ينتظر ..
حتى نغدو كثيرين ونسود .. عندئذ نتحرك ..
وعندها يغدو المجد لنا .. أما الآن فلنبق حذرين
منطوين نتحين الفرص .. »

كانت (إيرينا) تزورنى وتسألنى فى لهفة :

- « أماد .. ماذا دهاك ؟ »

لكنى كنت أبعدها عنى فى غلظة ..

وقد جلبت لى فى يوم من الأيام علبة من أقراص
الحديد ؛ ابتاعتها من الصيدلى المخبول (يوليان) ،
لكنى لم أمسسها .. ليس فقر الدم هو ما أعانيه .. إنه
الجوع للدم ذاته !

نعم .. كنت ظامئة للدم .. ولم يكن ما ذقته منه
كافياً فى الهوام التى أتج فى الظفر بها ، ولم أجرو
قط على أن أطلب من (إيرينا) ذبح خنزير وجلب
دمه لى ..

كنت أتعذب .. وأتمزق ، لكنى تحاملت على نفسى
أياماً طويلة ..

وكنت أعرف ما سيحدث .. لهذا أرسلت (فالستا)

لتَقِيم عند خالتها .. وحاولت إقناع (إيرينا) البلهاء
لكنها أصرت على ان تَظُل معي . وأن تنفق على
(اللات) المعدودة التي حصلت عليها من خالتها ..
وفي النهاية كان الظمأ قد بلغ بي أعتى مبلغ ..
لهذا .. شربت دماء (إيرينا) ..



حسن .. ثمة رجل يدعى (ميكياڤلى) - ويبدو أنه
روسى (*) - حكى لى القس عنه يوماً ما .. يبدو أنه
قال (الغاية تبرر الوسيلة) .. ولم أفهم معنى العبارة
لكن القس قال لى إن المقصود بها : لو كانت أهدافك
معقولة فمن الممكن أن تفعل أى شىء ..
حسن .. أنا لم أعد أطيق القس ولا الكنيسة ..
لكنى أعترف له بأنه ثَقَفنى كثيراً .. وكانت هذه
العبارة هى التبرير الذى وجدته حين أنشبت أسناتى
فى عنق (إيرينا) فى غرفتى المظلمة ..

(*) ميكياڤلى إيطالى .. لكننا لا نطالب مصاصمة الدماء العجوز
بأن تكون مثقفة !



وفى النهاية كان الظمأ قد بلغ بى أعتى مبلغ .. لهذا ..
شربت دماء (إيرينا) ..

أنا أتحرّك نحو هدف أسمى .. تحول مذهل ..
تحول تهون معه التضحيات الصغرى ، وعاطفة مثل
عاطفة الأمومة .. وثمة حيوانات تلتهم صغارها حين
تجوع .. ما دام ذلك فى اتجاه التقدم الطبيعى ..
لكن (إيرينا) ماتت !

ماتت حقاً ، ولم تمرّ بالغفوة التى مررت أنا بها ..
لم تصخّ ثانية حقاً .. وأمضيت ساعات طويلة أصفعها
محاولة جعلها تنهض .. ثم سمعت صوته (هو)
يقول لى :

- « أنت قد تسرعت أيتها الروح الكبرى »

تساءلت فى ذهول وأنا أحتضن طفلتى :

- « روح كبرى ؟ من ؟ »

- « الروح الكبرى هى أنت .. لن تكون هناك من

تدعى (إيرما كالسكا) بعد الآن .. بل أنت كاهنتنا

العظمى .. وقد تسرعت كثيراً .. »

- « ك .. كيف تسرعت ؟ »

- « كان عليك أن تحقّقيتها بالإكسير قبل مصّ

دمها .. والآن لم يعد من الممكن أن تعود للحياة أو

تغدو منا .. لا تجزعي ! فقط عليك أن تتخلصى من
جنتها .. »

- « و .. ولماذا أغدو الكاهنة العظمى ؟ »
- « لأنك قمت بالتضحية العظمى .. ابنتك ! »
- « و .. م .. من أنت ؟ »
- « أنا (هو) .. هو الذى يمشى فى الظلال .. »



لم يكن عسيراً أن أجزّ جثة (إيرينا) إلى غابة الصنوبر وأتركها هناك .. لحظة ضعف عابرة هزنتى وأنا أتذكر كيف كانت طفلتى تهوى اللعب فى هذه الغابة .. ثم تماسكت وعدت إلى دارى تحت جناح الظلام ..

وحين وجدوها جاعنى المأمور يخبرنى بمأساتى .. كان هذا عند الظهر .. وأنا لا أطيق رؤية ضوء النهار ، لكنى سمعت قرعاتهم على الباب ، وصوت رجاله ينادون اسمى العتيق ..

تحاملت على نفسى وفتحت الباب .. ثم جعلتهم يدخلون إلى الدار المظلمة ، لا يكادون يبصرون بعد ضوء الظهيرة الساطع ..

وسمعت من يقول ملحوظة ما عن رائحة البيت الكريهة .. الروائح ! إنهم ما زالوا يلاحظون الروائح .. أما أنا فأعتقد أن حاسة الشم لدى لم تعد متعلقة إلا بالدم .. هناك دم أم لا ..

قال المأمور :

- « منذ متى اختفت (إيرينا) يا (إيرما) ؟ »

قلت وأنا أقف فى الظلام :

- « منذ أسبوع أيها (القوميسير) .. »

- « ولماذا لم تخبرينا ؟ »

- « لأنها تشاجرت معى وأعلنت أنها لن تعود ..

مسألة عاطفية من سخافات المراهقة إياها .. ولكن

لماذا تسأل ؟ »

تنهّد وفى تردد قال :

- « لأننا وجدنا جثتها فى غابة الصنوبر صباح

اليوم ! »

الآن صار على أن أصرخ وأولول ..

أصرخ وأمزق شعرى وألطم خدى ..

ياه ! لقد كان كل هذا مملاً .. لكنى قمت به باعتباره

من ضرورات مهمتى .. ويبدو أن أدائى كان رائعاً

لأنهم راحوا يواسوننى ويقدمون لى أقذاح الماء ..

وكان من السهل بعد هذا أن أظهار بأن قدمى قد

شلتا .. كان على أن أفعل هذا إذا أردت ألا أذهب

للكنيسة لحضور تأبين (إيرينا) .. الحق أننى لم أعد

أحتمل دور العبادة كلها ..

جاءت خالة (إيرينا) كى ترعانى .. وخالة (إيرينا)
هى أختى طبعاً .. لكنى لم أكف عن اعتبارها امرأة
متطفلة ما ..

امرأة عجوز ثقيلة الظلّ تصرّ على مضايقتى ،
وتتشرط طيلة الوقت ، وتسألنى عن صحتى مائة مرة
فى الساعة ..

كنت أعاملها بغلظة .. لكنها كانت تمصص
بشفقتها طيلة الوقت ، ولا تكف عن الإشفاق على ..
والأسوأ أنها راحت تنظف الدار .. وتصرّ على أن
تدخلها الشمس وأن تتخلص من رائحتها التى تقول
إنها كريهة ..

حسن .. كان لا بد أن تذهب ..

★ ★ ★

وحين كنت أخلو لنفسى كان (هو) يزورنى ليملى
على كتابه الخاص به .. كتابه الذى سيقضى به
أتباعه جيئاً ..

وكنت أدون كل حرف فى ورقة ، حتى اجتمعت
لدى ثلاثمائة ورقة قمت بتجليدها فى كتاب ، ورسمت

عليه الصليب .. لكن لا ككل صليب .. بل هو صليب
مقلوب .. لا أدري السبب .. لكنى وجدت نفسى
مرغمة على رسمه .. وأطلقت على الكتاب اسم
(إنفرتوس) ..

تسألون عن محتوى الكتاب ؟
إن هذا يثير الفضول .. لكنى غير مخولة بأن أذكر
منه حرفاً لأمثالكم من الخطاة الفاتين .. ليس من حق
غير الشاحبين أن يعرفوا أسرار (هو) العظمى ..
أكتفى فقط بذكر (الإكسير) .. والذي يصنع من
أوراق نبات الـ (وولف بين) .. وهو نبات له باع
طويل فى السحر ، ويقول الفلاحون دوماً إن رائحته
تخلق المذءوبين ..

يبدو أن كثيرين سواى يعلمون سره ، ومن بينهم
(بيلاسكو) نفسه .. وهذا الإكسير هو الذى يمنع من
تمتص دماؤه من أن يهلك .. ثم أكن أعرف شيئاً عن
هذا حين مصصت دماء (إيريتا) ..
أحياناً أشعر براحة لأنى لم أكن أعرف .. فهى على
الأقل تنعم براحتها الأبدية الآن فى غناية إله رحيم ..

لو كنت أعرف لصارت مثلى .. خادمة لـ (هو) ..
وأحيانا أئدم .. فقد فقد مجتمعنا فردا .. وفردا
مهما ..

المهم أنتى تحايكت على خالة (إيرينا) حتى
سقيتها كأسا كاملة من الإكسير ، ثم فعلت معها
ما فعله (بيلاسكو) معى ..

وكان المنظر غير مسبوق ..
فى البدء تهاوت جثتها الشاحبة الخالية من الدماء
أمامى .. بعد جهد عنيف كلفنى نابا من أنيابى ..
آخرها فى الواقع ..

ثم رأيته تتكلم بصوت مبجوح ..
ورأيت عينيها ترمقتان فى ثبات ..
قلت لها الكلمات الشهيرة :

- « أنت لن تموتى .. ستعيشين لتكونى من إخوة
الدم .. وعندها تلفظين خطايا الماضى .. »
ثم همست فى أذنها :

- « (هو) - الذى يمشى فى الظلال -

يريدك .. »

ومن ليلتها صارت الصديق الوحيد الذى يؤنس
وحدتى ..

لكن عدداً ازداد بعد حين ..
صارت كل البيوت المجاورة منا ..
وصرنا أقوى .. وامتلكنا الجراءة كي نجهر بحقيقتنا ..

★ ★ ★

حكاية الشاحب الرابع

يحكيها هو بنفسه

قال (بيلاسكو) :

(هو) - الذى يمشى فى الظلال - أمرنى أن أضغ
(إيرما كالسكا) أو ابنتها ..

★ ★ ★

الحق أننى كنت ميالاً إلى تذوق دماء الفتاة .. فهى
دماء غضة شابة ربما تبعث الحياة فى وجودى
المحتضر ..

لكن ما باليد حيلة .. ومن العسير أن تجد كل ما تريد ..

★ ★ ★

أنا مدرس فى مدرسة القرية .. أرمل منذ فترة
قصيرة .. ولى ابن فى السادسة عشرة من عمره ..
اسمه (كوئار) ..

إن الحياة تمضى فى القرى على غرار (هالماجيو)
بشكل رتيب جداً .. لا شئ يحدث .. يمكنك أن تعرف
أن الأمور ستمضى على هذا المنوال بعد عامين أو
عشرة .. يمكنك أن تحس من سيتزوج من من

المراهقين الذين تراههم فى كل مكان .. يمكنك أن
تخمن أول الموتى فى الفترة القادمة ..

الحياة - حقاً - رتيبة فى (هالماجيو) ..

لكننا منذ شهرين عرفنا الإثارة الحقيقية ..

فبعد أن تغرب الشمس يبدأ المرح ، وينتشر إخوة
الدم فى الشوارع يرقصون ويصخبون .. ونشعل النار
العظمى التى تضىء لنا كل شىء .. ويغادر إخواننا
بيوتهم بعد يوم طويل قسوه ينتظرون فى الظلام تلك
اللحظات ..

هو ذا (إستبان) وهذا (بوريس) وتلك (هيلدا) ..
أو تلك هى أسماؤهم القديمة قبل أن يصيروا (شيطان
الظلام) و (نهر النار) و (زهرة القبور) .. أنا صار
اسمى (الدم) وهو اسم جميل حقاً ..

- « كيف حالك يا (نهر النار) ؟ »

- « أسوأ من حالك يا (دم) .. »

وفى هذا المجتمع صار لكل منا زوجة ..

أنا زوج (إليصابات) التى صار اسمها (حدأة
الصحراء) .. صحيح أننا لا نرى بعضنا إلا ليلاً ..
لكن تفاهمنا تام ..

ويسرنى هنا أن أقول إن (حدأة الصحراء) تنتظر
أول مولود فى مجتمعنا الجديد .. أول طفل يولد
شاحباً .. وقد دنا الموعد جداً ..

حول النار نحتشد وتتلو عبارات الخضوع لـ (هو)
- الذى يمشى فى الظلال - الذى نرتقب خروجه من
الكهف متى بلغ عددا رقماً معيناً ..
ما هو هذا الرقم المبارك ؟

لا أحد يعرف .. ربما كان ستين أو سبعين أو مائة ..
وربما تتم هذه المعجزة اليوم بالذات ..

لقد دأبنا على زيادة عددا .. كلما وجدنا متطفلاً
من جنوب القرية عندنا .. كنا نقبض عليه ، ونرغمه
على أن يكون منا ..

متطفل اليوم هو الشاب (أنطونيسكو) ابن
القصاب .. يبدو أنه قد تسلل ليلاً ليرى ما يحدث عندنا ..
وكان يحمل خنجراً ومشعلاً .. أنا أعرف أنه يحب
(إيرينا لاسكى) ولم يستطع أن يتفهم موتها قط ..

لكنه كان أحمق بما يكفى لأنه رأى ابنى (الكابوس)
- أعنى (كوثر) سابقاً - وحسب أن الشباب يفهم
الشباب أكثر من سواد .. حاول أن يكلمه .. ناداد ..

وكان (الكابوس) حويظا بما يكفي .. إذ دنا من صاحبنا وتبسط معه فى الكلام .. ثم على حين غرة أمسك معصميه بكلا يديه ، وأطلق صرخة طويلة - صرختنا - فهرع الإخوة من كل حدب وصوب ، وأحاطوا بالفتى بعصبيهم ومداهم ..

وكان الباقي معروفا .. ربطنا قدميه وعلقناه فى شجرة .. نسيت أن أقول إننا أرغمناه على شرب الإكسير .. كان يصرخ ويحاول أن يبصق ما اتصب فى فمه لكن الإعياء غلبه فجرع بضع جرعات .. وحين علقناه من قدميه كما فى أوراق (التاروت) لم يفهم المراد منه ..

دنت كاهنتنا وأحدثت الجرح إياه فى وريد عنقه الودجى ..

ثم رحنا نتناوب ملء الكنوس من الدم .. الدم الأحمر الفائر .. الذى يكفي لإطفاء ظمأ ثلاثين منا .. إن الدم سائل ساحر حقا .. كوب واحد يجدد نشاطك لمدة يومين .. ولا يوجد كوب من أى مشروب فى العالم له هذا التأثير .. لكن الحظ كان يحمل لنا مفاجآت باسمه أكثر ..



وكان (الكابوس) حويطاً بما يكفى .. إذ دنا من صاحبنا
وتبسط معه فى الكلام ..

لقد وجدنا غريبين متطفلين فى دار (الدماء
السوداء) .. لقد تمكن من القبض عليهما وحده
بإرادة جديرة به ..

وكان أحدهما يتكلم الرومانية وهو صحفى مكتنز
فاخر المظهر من (بوخارست) ، وأنا أمقت أهل
(بوخارست) لأنهم يعتبروننا نحن الفلاحين حمقى ..
أما الآخر فلا أجد له وصفا سوى أنه يشبه دودة
(الإسكارس) فى كتب التاريخ الطبيعى التى أشرحها
للتلاميذ .. ويبدو أنه أجنبى ..

كأنا مذعورين يحاولان تفسير الموقف ، ويبدو أن
الصحفى كان يحاول تخويفنا بمنصبه وصلاته .. لكن
الشيوعيين لن يرهبونا .. لا هم ولا الرأسماليون
ولا أية قوة أخرى ..

عندما نقرر المعاملة اللائقة بهذين سييذا المرح
الحقيقى ..

اقترح أحد الواقفين أن نستنزف دماءهما حالا ..
وأنا أمقت ضيق الأفق بشكل غير عادى .. إن التكرار
مقيت دائما ..

لقد فرغنا من استنزاف دم (أنطونيسكو) ..

وهو ذا قد بدأ يتحرك وهو متدلّ من الحبل .. وقد
بدت عليه أولى علامات الصحة : لم يعد الوضع
المقلوب يضايقه .. إنه قد اكتسب طبيعة الوطاويط
التي تقضى حياتها مقلوبة دون ضيق .. ثم إن جسده
لم يعد يحوى دماء تتجمع فى رأسه وتظهره
بالاختناق والاحتقان ..

أقول إن (أنطونيسكو) قد صار منا ، ولشد ما
أثارت صحوته الهنع فى نفسى ضيفينا .. لقد أثار
موته الذعر فى نفسيهما .. لكن صحوته جعلتهما
يوشكان على الموت بدورهما ..

لم يعد هناك داع لاستنزاف آخر هذه الليلة ..
إن ضيفينا سيجدان كثيراً من المرح فى الكهف ..



كان (كوثر) - أو (الكابوس) - هو من قادنى
إلى إخوة الدم ..

فى البدء كان مراهقاً عادياً يضحك من قلبه ويغنى
ويتشاجر ويحب ، ثم بدأ التحول الممهود : صار
شاحباً .. وصار يفضل الجلوس وحيداً فى الظلام ،
وحوله تلك الرائحة العظنة التى صارت شعارنا ..

وقد حسبته فى البدء مصاباً بخلل نفسى من هذا
الذى يعترى المراهقين . وأفضيت بمخاوفى
لدى (ميخائيل) الذى جاء وفحصه برغمه .. وأعلن
أنه مريض جداً .. وكتب لى قائمة طويلة من
المستحضرات العلاجية التى تشرب أو تبلع أو تدهن
أو تمص أو تشم أو تحقن ..

لكن (كوثر) - لم يكن قد صار (الكابوس)
وقتها - غضب جداً على بعد انصراف الطبيب .. وقال
لى إن كل هذا شأن من شئونه . وهددنى لو جعلت
الامر أكثر ذيوغاً بأن يقتلنى ..

الحق أننا لم نعتد (قلة الأدب) الأمريكية هذه فى ريف (روماتيا) ..

ربما سمح الآخرون لأنفسهم بذلك ؛ لكن الأمر يختلف هاهنا .. إن الابن الوقح يصفع ، وربما يطرد لو أراد الأب ..

وهكذا ضربته ضرباً لا بأس به .. وحبسته فى غرفته ، وهو ليس عقاباً حقيقياً بالنسبة له ، هو الذى يقضى عشرين ساعة يومياً وحده فى حجرته .. وفى المساء دخلت حجرته ، حيث كان جالساً فى الظلام لا يفعل أى شىء فى الواقع ..

جلست جواره وقلت له بصوت أبوى هادئ :
- « ها نحن ذان معاً .. صديقان يتساران .. قل لى ما يضايقك .. »

قال لى وهو يخرج قنينة من جيب سترته :
- « كل ما هنالك هو أنني لا أشعر بأئنى بخير .. صدقتى .. هذا هو كل شىء .. لم أعد أتحمل أية ضوضاء من أى نوع .. »

وقرب القنينة من فمه وأردف :
- « ولا الضوء .. ربما هى مسألة أعصاب كما تعلم .. »

صحت وأنا أمسك يده فى عنق :

- « وهذا؟ هل هو خمر؟ هل تشرب يا (كوثر) ؟ »

هز رأسه وابتسم .. لمحت بسمته فى الضوء

الخافت وقال :

- « لا يا أبت .. إنه مجرد منشط طبي .. ثق بى .. »

ورأى نظرة الشك فى عيني ، ف قرب القنينة من فمي

وقال :

- « هلم ذقه .. لتكون مطمئناً .. »

لامست القنينة بشفتي وعيناي لا تفارقان وجهه ..

حقاً لم يكن ما بها خمرأ .. بل هو سائل غير

معهود .. عطر الرائحة قليلاً .. له مذاق الزنجبيل لو

أضيف له النعناع ..

وكان هذا خطأ .. لقد تركت لقدمي أن تنزلقا إلى

ذات الشرك ..

ويبدو أنه كان جائئاً فوق عنقي .. وبصعوبة

عرفت أنه يمتص الدماء من وريدي المنتفخ .. وهى

عملية مرهقة استغرقت ساعة أو أكثر .. لكنها لم

تكن سينة على الإطلاق ..

فقط سمعته يلهث هامساً :

- « أنت لن تموت .. ستعيش لتكون من إخوة الدم ..
وعندها تلفظ كل خطايا الماضي .. »
ولم أفهم ما يقول وقتها .. لكنى فهمته الآن بعد
ما عشت حتى ضمنت ستة غيرى إلى إخوة الدم ..
وكذلك فهمت عبارته التالية :

- « هو - الذى يمشى فى الظلال - يريدك .. »



الحق أنها كانت خبرة غير معتادة ..
نحن فى (رومانيا) .. والكلام عن مصاصى
الدماء يبدأ منذ أن يكون الطفل فى مهده .. لكن ما حدث
لم يكن مصّ دماء كما نعرفه .. كان استنزاف دماء
لشربها .. ولم يمت أحدنا غير ثلاثة أيام بعدها يغادر
قبره ليمارس مهنته .. ولم نكن خالدين حتمًا لأن
أحدنا مات بنوبة قلبية منذ أسابيع .. وإحدانا - كانت
تدعى (إيزيبا) - ماتت فى أثناء الولادة مع وليدها ..
لكننا - وقد تزايد عددا تدريجيًا - كنا نعرف أننا
نشكل البذرة لنبته ما .. نبته عملاقة ..

ما هو الغرض من وجودنا ؟
لا ندرى .. سل أية نبته عن الغرض من وجودها ،
واتنظر أن تجيبك إجابة مقتعة ..

لكن الروح الكبرى - كاهنتنا التي شرفت بضمها -
جعلتنا نعرف أن لنا هدفاً واحداً .. هو أن نكون
موجودين حين يخرج هو - الذى يمشى فى الظلال -
من الكهف ..

- « عندها سيهدى السلام الكواكب ، ويتوارى كوكب
المشتري مع المريخ ، ويصير القمر فى المنزلة
السابعة .. »

- « ويكون هذا هو فجر برج الدلو .. »
هذه الكلمات من مسرحية (شَعْر) تعبر بصدق
عن آمالنا ..
آمالنا التى لن نتركها للمتطفلين القادمين من
(بوخارست) ..

حتى ولو كان أحدهم يشبه دودة (الإسكارس) ..



حكاية الطبيب النحيل

يكملها هو بنفسه

قال د. (رفعت) :

كان الكأس أمام شفتى .. ولم أكن أعرف
ما سيحدث ، لكنه حتماً لن يتضمن أن أشرب هذا
السائل الكريه .. فليقتلوني إذا أرادوا .. وكل ما أرجوه
هو ألا يكونوا غليظي القلب إلى حد صب هذا الكأس
في فمي عتوة ..

هنا جاءت التجددة في صورة رجل نحيل أصلع
الرأس ، رفع يده في حزم .. وصاح قائلاً شيئاً ما ..
دخلوا في جدل طويل لم أفهم منه حرفاً .. لكني
كنت أرمق شيئاً معيناً في اهتمام .. إن الفتى المعلق
من قدميه - والذي أفرغوا دمه أمامنا - يتحرك !
ابتساماً شيطانية تتلاعب على شفتيه .. ثم يكشر
عن أسنانه .. يفتح عينيه .. لحسن حظ (جوستاف)
أنه لم ير هذه النظرة بالذات ..

إنه حى .. حى وسعيد .. كأنه ينعم بوضعه
الطبيعى المثالى .. ذكرنى بوطواط معلق يهضم
ما التهمه من حبات العنب فى رضا ..
سمعت (جوستاف) يقول لى :

- « إن هذا الرجل .. »
 - « المعلق ؟ »
 - « لا يا أحمق .. أعنى الأصلع .. يقول إنه لا داعى
 لاستنزاف دمنا الليلة .. وقد اقترح أن يدخلونا الكهف
 على سبيل المرح ! »
 - « الكهف ؟ مرح ؟ »
 - « هذا ما قال .. »
 - « وما الموجود فى الكهف ؟ »
 - « لا أدرى .. لكنه بالتأكيد أسوأ من تعليقنا من
 الأقدام ، واستنزاف دمنا عن طريق أوردة العنق ! »
 أخيراً بدأ القوم يتحمسون ..
 وعرفت أن فكرة الكهف قد راقّت للجميع ..
 بدعوا يدفعوننا وهم يشكلون دائرة واسعة حولنا ،
 قاصدين ذلك الكهف السخيف ، عطن الراحة ..
 قال (جوستاف) وهو يرمق وجوههم الشاحبة
 تلتمع فى الذهب :
 - « (رفعت) .. إن الأمر يبدو كأنهم يقودوننا إلى
 نوع من القربان الآدمى .. وأنا لا أحب هذا .. »
 قلت لاهتأ :

- « أما أنا فأعتقد أنهم يقودوننا إلى مقبرة .. وأنا
أكره هذا ! »

كان الكهف ينتظرنا ..
فمه الفاجر المظلم يحمل عشرات الاحتمالات ..
وعشرات الإجابات لأسئلة لم نسألها .. ولم نرغب قط
فى سؤالها ..
ما الذى ينتظرنا هناك ؟



فى الكتيب القادم تسمع حكاية الشاحب الثالث
(كوثر) .. وتعرف السر وراء هذه اللعنة التى
اجتاحت (هالماجيو) ..
ربما تعرف أيضاً - لو كان هناك وقت - ما حدث
لنا داخل الكهف .

د. (رفعت إسماعيل)
القاهرة

روايات همزة الحبيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط

الغموض والرعب والإثارة

• صدر من هذه السلسلة •

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| 18- أسطورة الفرياء - | 1 - أسطورة مصاص الدماء - |
| 19 - أسطورة بو - | 2 - أسطورة التنداهة - |
| 20 - حكايات التاروت - | 3 - أسطورة وحش البحيرة - |
| 21 - أسطورة عدو الشمس - | 4 - أسطورة أكل البشر - |
| 22 - أسطورة المينوتور - | 5 - أسطورة الموتى الأحياء - |
| 23 - أسطورة رعب المستنقعات - | 6 - أسطورة رأس ميدوسا - |
| 24 - أسطورة إيجور - | 7 - أسطورة حارس الكهف - |
| 25 - أسطورة الجنرال العائد - | 8 - أسطورة أرض أخرى - |
| 26 - أسطورة المواجهه - | 9 - أسطورة لعنة الفرعون - |
| 27 - أسطورتنا - | 10 - أسطورة حلقة الرعب - |
| 28 - أسطورة آخر الليل - | 11 - أسطورة الكاهن الأخير - |
| 29 - أسطورة الجاثوم - | 12 - أسطورة البيت - |
| 30 - أسطورة بعد منتصف الليل - | 13 - أسطورة اللهب الأزرق - |
| 31 - أسطورتها - | 14 - أسطورة رجل الثلوج - |
| 32 - أسطورة رفعت - | 15 - أسطورة التيات - |
| 33 - أسطورة أرض المغول - | 16 - أسطورة النافاراي - |
| 34 - أسطورة الشاجين - | 17 - أسطورة حسناء المقبرة - |

رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :

1 - الاختفاء القامض .	42 - الهدف القاتل .	83 - معركة القمة .
2 - سباق الموت .	43 - المخاطر .	84 - جزيرة الجحيم .
3 - قناع الخطر .	44 - العين الثالثة .	85 - تسعة الشر .
4 - صائد الجواسيس .	45 - القبضان الجليدية .	86 - الثلج .
5 - الجليد الدامي .	46 - لهيب الثلج .	87 - خط المواجهة .
6 - قتال الذئاب .	47 - الرصاص الذهبية .	88 - سفير الخطر .
7 - طريق الماس .	48 - شيطان المافيا .	89 - قبضة السفاح .
8 - غريم الشيطان .	49 - الضربة القاضية .	90 - الهدف .
9 - أنياب الثعبان .	50 - مهمة خاصة .	91 - الوجه الخفى .
10 - المال الملعون .	51 - سم الكوبرا .	92 - الخطر .
11 - المؤامرة الخفية .	52 - جبال الموت .	93 - أرض العدو .
12 - حلفاء الشر .	53 - ذئاب ودماء .	94 - كتيبة الدمار .
13 - أرض الأهوال .	54 - رحلة الهلاك .	95 - الصراع الوحش .
14 - عملية مونت كارلو .	55 - أفعى برشلونة .	96 - المعركة الفاصلة .
15 - امبراطورية السم .	56 - الفهد الأبيض .	97 - الصقر الأعشى .
16 - الخدعة الأخيرة .	57 - عملية الأذغال .	98 - القناص .
17 - انتقام العقرب .	58 - أعدام بطل .	99 - مذاق الدم .
18 - قاهر العمالة ج ١ .	59 - انتقام شيخ .	100 - الضربة القاصمة .
19 - أبواب الجحيم ج ٢ .	60 - دون كارولينا .	101 - انقلاب .
20 - ثعلب الثلوج .	61 - ملائكة الجحيم .	102 - نهر الدم .
21 - مضيق النيران .	62 - ملك العصابات .	103 - الاحترق .
22 - أصابع الدمار .	63 - الجاسوس .	104 - الأعصار الأحمر .
23 - فارس اللؤلؤ .	64 - تحت الصفر .	105 - عقارب الساعة .
24 - الضباب القاتل .	65 - الجليد المشتعل .	106 - الأفعى .
25 - الخنجر الفضى .	66 - ألف وجه .	107 - اتحاد القتلة .
26 - آخر المبادرة .	67 - الجحيم المزدوج .	108 - الفخ .
27 - الجوهرة السوداء .	68 - قلعة الصقور .	109 - قبضة الشر .
28 - قلب العاصفة .	69 - أجنحة الانتقام .	110 - اغتيال .
29 - الصراع الشيطاني .	70 - أباطرة الشر .	111 - معبد الجريمة .
30 - الرمال الحارقة .	71 - ضد القانون .	112 - الطريق الأسود .
31 - الخطوة الأولى .	72 - شريعة القاب .	113 - رياح الخطر .
32 - خيط الذهب .	73 - المعتقل الرهيب .	114 - ممر الجحيم .
33 - القوة (١) .	74 - الدائرة الجهنمية .	115 - بلا رحمة .
34 - مارو الفضب .	75 - أسوار الجحيم .	116 - مهرجان الموت .
35 - قراصنة الجو .	76 - النهر الأسود .	117 - عمالقة الجبال .
36 - ذئب الأحرار .	77 - عمالقة مازسيلييا .	118 - الأربعة الكبار .
37 - مخلب الشيطان .	78 - صحراء الدم ج ١ .	119 - فوق القمة .
38 - لعبة الاحترق .	79 - صفقة الموت ج ٢ .	120 - الستوروا .
39 - أعماق الخطر .	80 - وكر الإرهاب ج ٣ .	121 - وجه الأفعى .
40 - مهنتى القتال .	81 - الرجل الآخر ج ١ .	122 - الأصابع الذهبية .
41 - الانتحاريون .	82 - الأخطبوط .	

ملف المستقبل

سرى جداً

صدر من هذه السلسلة :

- | | | |
|-------------------------|----------------------------|---------------------------|
| 83 - أرض العدم . | 42 - الأرض الثانية . | 1 - أشعة الموت . |
| 84 - كنز الفضاء . | 43 - ثقب في التاريخ . | 2 - اختفاء صاروخ . |
| 85 - الأمل الفيروزي . | 44 - الخارقون . | 3 - مدينة الأعماق . |
| 86 - الإمبراطور . | 45 - السحاب الأحمر . | 4 - غزاة الفضاء . |
| 87 - نصف آلى . | 46 - الكوكب الملعون . | 5 - القبيلة الغامضة . |
| 88 - الانفجار الحى . | 47 - المقاتل الأخير . | 6 - زائر من المستقبل . |
| 89 - البركان . | 48 - سجن القمر . | 7 - جنون طائفة . |
| 90 - رعب فى الأعماق . | 49 - غزو الأرض . | 8 - الأرتجاج القاتل . |
| 91 - ضد الزمن . | 50 - الأسطورة . | 9 - صراع الحواس . |
| 92 - الرحلة الرهيبة . | 51 - الخلية القاتلة ج ١ . | 10 - الفارس المجهول . |
| 93 - نقطة الصفر . | 52 - العدو الخفى ج ٢ . | 11 - منطقة الرعب . |
| 94 - الساحر . | 53 - أمطار الموت . | 12 - طريق الأشباح . |
| 95 - القوة السوداء . | 54 - عبر العصور ج ١ . | 13 - الزمن المفقود . |
| 96 - بذور الشر . | 55 - أسرى الزمن ج ٢ . | 14 - نداء النجوم . |
| 97 - لهيب الكواكب . | 56 - شيطان الأجيال ج ٣ . | 15 - مثلث القموض . |
| 98 - نيران الكون . | 57 - منطقة الضياع . | 16 - الوباء الجهنمى . |
| 99 - الانفجار . | 58 - معركة الكواكب ج ١ . | 17 - نبض الخلود . |
| 100 - الزمن = صفر . | 59 - جحيم أرغوان ج ٢ . | 18 - ظلال الفزع . |
| 101 - الحرياء . | 60 - أرض العملاقة . | 19 - عيون الهلاك . |
| 102 - التوعم الرهيب . | 61 - الكابوس . | 20 - العقول المعدنية . |
| 103 - الأرض المفقودة . | 62 - سادة الأعماق ج ١ . | 21 - أطباق الماضى . |
| 104 - أنياب ومخالب . | 63 - المحيط الملتهب ج ٢ . | 22 - ليلة الرعب . |
| 105 - وجوه من لثج . | 64 - السيف البلورى ج ١ . | 23 - بصمات السحرة . |
| 106 - بلا أثر . | 65 - أبواب الموت ج ٢ . | 24 - الضوء الأسود . |
| 107 - لعنة الدم . | 66 - الشمس الزرقاء . | 25 - صحوة الشر . |
| 108 - مصيدة الفضاء . | 67 - شيطان الفضاء . | 26 - لعنة الفضاء . |
| 109 - الدوامة . | 68 - عقول الشر . | 27 - الفخ الزوجى . |
| 110 - الضجوة السوداء . | 69 - العالم الآخر . | 28 - النهر المقدس . |
| 111 - كوكب الطفافة . | 70 - الستار الأسود . | 29 - الإيقاع المقتدر . |
| 112 - بصمة الموت . | 71 - أمير الظلام . | 30 - النار الباردة . |
| 113 - حرب الفيروسات . | 72 - ابن الشيطان ج ١ . | 31 - رنين الصمت . |
| 114 - الرعب . | 73 - مبعوث الجحيم ج ٢ . | 32 - الأفق الأخضر . |
| 115 - العدو الخارق . | 74 - الصراع الجهنمى ج ٣ . | 33 - حارس الأرواح . |
| 116 - العاصفة النووية . | 75 - الرجولة الأخيرة ج ٤ . | 34 - وحش المحيط . |
| 117 - فارس الزمن . | 76 - الاحتلال ج ١ . | 35 - امرأة الغد . |
| 118 - ألف عصر . | 77 - المقاومة ج ٢ . | 36 - الموت الأزرق ج ١ . |
| 119 - زمن الدم . | 78 - الصراع ج ٣ . | 37 - السماء المظلمة ج ٢ . |
| 120 - الفارس الثانى . | 79 - التحدى ج ٤ . | 38 - من وراء النجوم ج ٣ . |
| 121 - المجهول . | 80 - النصر ج ٥ . | 39 - الثلوج الساخنة . |
| 122 - الظلال الرهيبة . | 81 - رمز القوة . | 40 - علامات الخوف . |
| | 82 - حصن الأشرار . | 41 - ملكة النار . |

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

- | | |
|---------------------|--------------------------|
| 7 - ألعاب إغريقية . | 1 - قصة لا تنتهى . |
| 8 - مملكة الموتى . | 2 - حكايات من الاشيا . |
| 9 - الخناقون . | 3 - صفر... صفر... سبعة . |
| 10 - الاسم شكسبير . | 4 - إمبراطورية النجوم . |
| 11 - نداء الادغال . | 5 - ذات مرة فى الغرب . |
| 12 - بين عالمين . | 6 - خيول ورماح . |

روايات مصرية للجد

باقة من القصص والروايات المصرية قمة فى التشويق والإثارة

قوتيل

- | | |
|------------------------|---------------------|
| 14 - نداء الأعماق . | 1 - النبوءة . |
| 15 - التجربة الرهيبة . | 2 - سيف العدالة . |
| 16 - المهمة . | 3 - البديل . |
| 17 - الشيء . | 4 - بدوية . |
| 18 - البعد الخامس . | 5 - لعنة البحر . |
| 19 - ضيف النجوم . | 6 - المندوب . |
| 20 - البعث . | 7 - سر القصر . |
| 21 - صانع اللعب . | 8 - تحقيق . |
| 22 - الكوكب العاشر . | 9 - الزائر الغامض . |
| 23 - آلة الزمن . | 10 - الفارس . |
| 24 - اللغز . | 11 - ثمن الصداقة . |
| 25 - أوراق بطل . | 12 - العنقاء . |
| | 13 - جزيرة القدر . |



روايات
فهم
للجرب

صدر من هذه السلسلة :

- | | |
|------------------------------|----------------------------|
| 24 - سر مباراة القمة . | 1 - سر عقدة هرقل . |
| 25 - سر نجم المهرجان . | 2 - سر جمعية الصبار . |
| 26 - سر الولد القامض . | 3 - سر الطبق الطائر . |
| 27 - سر الجريمة الأولى . | 4 - سر الصفقة الفاسدة . |
| 28 - سر الاختطاف . | 5 - سر اختفاء السفينة . |
| 29 - سر الزلزال . | 6 - سر الصندوق . |
| 30 - سر الهلب . | 7 - سر العروس الفاتنة . |
| 31 - سر الدش . | 8 - سر العداد . |
| 32 - سر الزمردة المفقودة . | 9 - سر العنكبوت . |
| 33 - سر العملية رقم ٣ . | 10 - سر النقطة . |
| 34 - سر العملية رقم ٣ ج ٢ . | 11 - سر اختفاء المجوهرات . |
| 35 - سر اللقاء الأول . | 12 - سر الأنغام الصامتة . |
| 36 - سر التوائم الثلاثة . | 13 - سر الميراث . |
| 37 - سر الآلة الجهنمية . | 14 - سر انهيار هرقل . |
| 38 - سر واحة الأخطار . | 15 - سر اللص الهلامي . |
| 39 - سر البطل الصغير . | 16 - سر الرسالة الحائرة . |
| 40 - سر البيضة الإلكترونية . | 17 - سر الوصية . |
| 41 - سر الصياد الإلكتروني . | 18 - سر الرجل الفهد . |
| 42 - سر مباراة التحدي . | 19 - سر اللص المزدوج . |
| 43 - سر الأوسكار . | 20 - سر الرحلة الغريبة . |
| 44 - سر كرم . | 21 - سر اللعبة القامضة . |
| 45 - سر مثلث برعى . | 22 - سر الحريق المروع . |
| | 23 - سر المعرض . |